مذكرات

انجيلا ديفيس

www.liilas.com/vb3

الطبعـة الاولـى
أوائـل ١٩٧٧

مذكرات

انجيلا ديفيز

ترجمة :

ابتسام عبدالله

HAMDAN.B
10/03/2010

دار ابـن خلـدون
للطباعة والنشر والتوزيع
كورنيش المزرعة ـ بناية ريفييرا سنتر
بيروت ص.ب ١١٩٣٠٨ هاتف ٣١٢٣٣٥

الاهداء

الى اسرتي ، قوتي

الى رفاقي ، ضيائي

الى كافة الاخوات والاخوة الذيـــن كـانت روحهم النضالية سبيلا الى تحرري .

الى اولئك الذين تعتبر انسانيتهم اكثر ندرة من تحطيمها بواسطة الجدران، القضبان ومنازل الموت .

وبالاخص الى اولئك الذين سيناضلون حتى تختفي العنصرية ويزول الاضطهاد الطبقي الى الابد من تاريخنا ..

تعريف

للاسف ، لا استطيع الاشارة الى كافة اسماء الذين شاركوا بشكل من الاشكال في اعداد هذا الكتاب ، ومع ذلك ، فهناك عدد من الاشخاص يستحقون اهتماما خاصا .

ان اعداد هذا الكتاب قد سمح للعمل مع ، والتعرف على انسانة تعتبر كاتبة رائعة وامراة سوداء عظيمة . وكمحررة للكتاب ، لم تقدم توني ماريسون ، مساعدة غير محدودة فقط ، بل انها كانت صبورة ومتفهمة لظروفي التي كانت تستدعي الانقطاع عن مواصلة الكتابة من اجل تحمل مسؤولياتي السياسية .

انني جد شاكرة للحزب الشيوعي الكوبي وسكرتيره الاول فيديل كاسترو لدعوته لي لقضاء عدة اشهر في كوبا لكتابة المسودات هناك .

كما قرأ تلك المسودات في مراحلها المتعددة كل من : شارلين ميتشيل، فرانكلين الكسندر ، فيكتوريا ميركادو ، بتينا ابثيكر ، ميشيل ميرسون ، كيرتس ستيوارت ومحامي الخاص ، ليوبرانتون .

كما ساعدني على التفرغ للكتابة جهود ساندي فرانكيل وكافة الاخوات والاخوة اعضاء هيئة التحالف الوطني ضد العنصرية والاضطهاد السياسي الذي اتولى انا منصب نائبة الرئيس فيه .

انني اشعر بالامتنان لهم جميعا .

مقدمة

لم تكن لدي رغبة قوية للكتابة . فالسيرة الذاتية لفتاة في مثل سني امر فيه نوع من المبالغة ، والاهم من ذلك ، فقد احسست ان الكتابة عن حياتي ، ما فعلته ، ما فكرت به وما حدث لي ، كان يتطلب مني افتراضا ، بانني لم اكن مثل بقية النساء السوداوات . وكان ذلك يعني شرحا للظروف النفسية التي مررت بها . ان مثل هذا الكتاب سيوضح عددا من الحقائق : القوى التي كان لها تأثير على حياتي ، وهي نفس القوى التي شكلت او اساءت تشكيل حياة الملايين من افراد مجتمعي . والابعد من ذلك : انني مقتنعة بأن رد فعلي على تلك القوى مثلما كان غير متوقعا ، كان طبيعيا ايضا ومنطقيا من اجل الدفاع عن انسانيتنا (انضمامي الى الحزب الشيوعي مثلا) .

اما بالنسبة للحادث الوحيد غير الاعتيادي في حياتي ، فهو لم يتناولني بشكل شخصي ـ مع انعطافة صغيرة في التاريخ ـ كان بامكان أخت اخرى او أخ آخر ان يصبح ذلك السجين السياسي الذي انقذته الملايين من سائر ارجاء العالم من الموت . كان يتوجب علي ، اذن ، اعداد هذا الكتاب لان تركيز الاهتمام على تاريخي الشخصي قد يؤثر على الحركة التي قدمت للناس قضيتي في الدرجة الاولى . كما انني لم اكن راغبة على

تقديم حياتي كمغامرة شخصية (وكأنما هناك انسان « حقيقي ») منفصل وبعيد عن الانسان السياسي .

وعندما قررت الكتابة في النهاية ، كان السبب الرئيسي لذلك هو نظرتي الى هذا الكتاب كمذكرات سياسية تؤثر على الناس وتقدم لهم الاحداث والقوى التي كان لها تأثير على حياتي وعلى اتجاهي السياسي . فبقراءة هذا الكتاب ، سيدرك الناس ، لماذا لا يجد الكثير منا خيارا آخر غير تقديم حياتهم ، اجسادهم ، معرفتهم ، ارادتهم ـ في سبيل الناس المضطهدين . وفي هذه المرحلة ، التي يبدو فيها انهيار النظام الرأسمالي العالمي واضحا ، يوجد احتمال بانضمام عدد اكبر من الناس (السود ، السمر الحمر ، الصفر والبيض) الى حركتنا النامية ، وعندما يحدث ذلك، سأعتبر هذا المشروع شيئا ذا قيمة .

(« الشبكة ستتمزق يوما
بقـرن ثـور قافز »)

الفصل الأول

شباك

٩ آب ـ أغسطس ـ / ١٩٧٠

اعتقد انني قد قدمت لها شكري ، لكني لست متأكدة . ربما راقبتها ببساطة وهي تبحث في حقيبتها ، ثم تقبلت بصمت الباروكة التي قدمتهـا لي والتي رقدت في يدي كحيوان صغير مذعور . كنت وحدي مع هيلين ، مختفية عن رجال الشرطة وحزينة على موت شخص كنت احبه . قبـل يومين ، في منزلها في أحد تلال لوس انجلس ، علمت بالتمرد الذي حصل في قاعة محكمة بلدة مارين والذي ادى الى وفاة صديقي جوناثان جاكسون. وقبل التمرد بيومين ، لم اسمع شيئا من روشيل ماجي ، جيمس ماكلين أو ويليام كريستماس . هؤلاء الثلاثة السجناء في سان كوينتين والذيـن اشتركوا في عملية التمرد التي ادت الى وفاة جوناثان وويليام كريستماس.

وبدا لي الامر في تلك الامسية وكأنني كنت قد تعرفت عليهم منـــذ زمن بعيد .

سرت نحو الحمام ، وقفت امام المرآة ، احاول وضع نهايات خصلات شعري تحت الشريط اللاصق . وكالاجنحة المكسورة ، سقطت ذراعاي حول رأسي ، وذهبت افكاري الى مكان اخر . عندما نظرت اخيرا الـــى المرآة ، وجدت وجها مليئا بالاسى والتوتر والقلق ، لا ينتمي الـي بشيء . ومع خصلات الشعـر الاسود المزيف المتهدلة علـى جبـين متجعـد وعينين حمراوتين منتفختين ، كنت أبـدو شيئا مبالغا فيـه . انتزعـت الباروكـة عن رأسي وقذفتها ارضا ، ثم عدت اليها من جديد . كان من الضروري ان ابدو في حالة طبيعية كي لا اثير شكوك الاشخاص الذين سيكونون في محطة البنزين . كان علي ان ابدو بمظهر اعتيادي .

اخبرت هيلين بان علينا مغادرة المنزل حالما تهبط الظلمه . لكن الليل لم يستطع زعزعة النهار الـذي بـدا متشبثا بأطرافـه . انتظرنا بهـدوء ، مختبئتان خلف الستائر المسدلة، وكلما أبطأت سيارة في سيرها أو توقفت، وكلما دقت خطوات ما الرصيف في الخارج ، كنت اتوقف عـــن التنفس متسائلة ان كان الوقت قد مضى وان انتظارنا قد طال !

لم تتحدث هيلين كثيرا . كان ذلك افضل . كنت سعيدة لكونها معي في خلال هذه الايام الاخيرة . كانت هادئة ولم تحاول اخفاء وضعنا المؤلم تحت كومة من الثرثرة غير المجدية .

لا اعرف كم أمضينا من الوقت ونحن جالستان في تلك الغرفـة القليلة الاضاءة ، عندما قطعت هيلين الهدوء قائلة بان الظلمـة فـي الخارج لن تشتد اكثر من ذلك . كان الوقت ملائما للخـروج . وللمـرة الاولـى ، ومنذ ان ادركت ان الشرطي في اثـري ، خطوت الى الخارج . كـان الوقت اكثر ظلمة مما كنت اتصور . لكنه لم يكن مظلما الى الحد الذي يمنعني من الشعور بانني عزلاء . واضافة الى مشاعر الغضب والحزن كان هنـــاك الخوف ايضا . خوف بسيط يتملكني بشكل كامل ، كالخوف الذي لازمني وانا طفلة عندما كنت أترك في الظلمة وحدي .

والان ، وفي كل خطوة ، كنت احس بشيء ما على وشك الهجـوم علـي . صور ظلـت تومض في عقلي ، لـم تكن صور تجريدية ، بل كانـت صورا واضحة لرشاشات تبرز من الظلمة ، تحيط بهيلين وبي ، ونار ....

لقد وضع جسد جوناثان على الاسفلت الساخن ، في المأرب القريب للمركز المدني لبلدة مارين . لقد رايتهم مـــن خلال شاشة التلفزيون ،

يسحبونه من العربة ، وحبل ملتف حول وسطه . وفي اعوامه السبعة عشر ، كان جون قد شاهد الكثير من القسوة التي لن يتحسسها غالبية الناس طوال حياتهم . ومنذ ان كان في السابعة من عمره ، كان قد افترق عن شقيقه الاكبر جورج بواسطة قضبان السجن والحراس . كم كنت غبية لما سألته مرة : لماذا لا تبتسم الا نادرا .

كان الطريق الى ايكو بارك ، مألوفا لدي . لكنه يبدو اليوم غريبا مليئا بالمخاوف المجهولة . ليس هناك مجال للف او الدوران ، فقد اصبحت حياتي ، حياة هارب من وجه العدالة . كل غريب اراه اتصوره مخبرا متنكرا ، وأتصور ان الكلاب البوليسية هي في انتظار اوامر سيدها .

عندما يعيش الانسان هاربا عليه ان يقاوم الهيستيريا وان يميز بين الخيال الزائف والعلامات الحقيقية لاقتراب العدو . كان علي ان اتعلم كيف اتمكن من خداعه والتفوق عليه من ناحية الذكاء . سيكون الامر صعبا ولكنه لن يكون مستحيلا .

لقد انتظر الالوف من اجدادي كما فعلت انا ، انتظروا حلول الليل الذي يخفي خطواتهم . استندوا هم ايضا على صديق حقيقي واحد كي يساعدهم وأحسوا ، كما احسست انا بملاحقة الكلاب لي .

كان الامر بسيطا ، والواجب يتطلب مني ان استحق الانتماء اليهم . قد تكون الظروف التي احاطت بحالة اختفاءي أشد تعقيدا ، لكنه لم يكن شيئا مختلفا تماما .

قبل عامين ، اقامت الـ Sncc ، حفل كوكتيل من اجل جمع التبرعات المالية . بعد الحفل، هاجم رجال الشرطة ، شقة فرانكلين وكيندرا الكسندر ، اللذين كانا عضوين في الحزب الشيوعي ومن أقرب أصدقائي . تم اعتقال الجميع ومصادرة الاموال وقطع الاسلحة الموجودة في الشقة ثم وجهت اليهم جميعا تهمة السرقة المسلحة . وحالما اكتشفوا ان احدى الرشاشات كانت مسجلة باسمي ، استدعيت الى التحقيق . بعد ليال عديدة في السجن ، اطلق سراح الاخوات والاخوة وأعيدت الاسلحة الى مالكيها .

وقطعة السلاح التي اعادتها الي شرطة لوس انجلس حينذاك ، هي الان بين ايدي سلطات بلدة مارين ، بعد ان تم ضبطها في ايدي المتمردين في قاعة المحكمة . لقد قتل القاضي الذي كان ينظر في القضية ، قتله جيمس مالكين واصيب المدعي العام بجروح . قبل ان يعلمني فرانكلين بوجود الشرطة حول منزلي ، كنت قد ادركت بانهم سيكونون ورائي . لقد

امضيت الاشهر الاخيرة في المشاركة في تنظيم حركة جماهيرية لاطلاق سراح (جورج ـ شقيق جوناثان ـ ، جون لكوتشيت وفليتا دورمنجو) والذين كانوا قد اتهموا بجريمة قتل داخل سجن سوليداد .

كنت في تلك الفترة ، قد فصلت من عملي كمدرسة في جامعة كاليفورنيا ، من قبل حاكم الولاية ، رونان ريجان ، لانني كنت عضوة في الحزب الشيوعي .

في ٩ آب ، كان المخبرون وعملاء شرطة لوس انجلس والـ FBI يحومون حول منازل كيندرا ، فرانكلين وزميلتي في الشقة تامو . كما وضع اعضاء نادي شي ـ لومومبا واعضاء لجنة الدفاع عن الاخوة سوليداد تحت المراقبة .

اقتضى الامر من فرانكلين في ذلك اليوم ، عند مجيئه الى شقة هيلين ، ساعات عديدة للتخلص من رجال الشرطة ، وساعات عديدة للاختفاء وتغيير السيارات والدخول من الباب الامامي لاحدى البنايات والخروج من بابها الخلفي . كان خائفا من عدم تمكنه من القيام بمغامرة اخرى من اجل الاتصال بي .

كان العنوان الذي اعطي لي ولهيلين ، يقع في شارع هادىء في منطقة ـ ويست آدامز . بعد ان ودعت هيلين بشكل ساذج ، غادرت السيارة وضغطت على جرس الباب . ما الذي سيحدث لو اننا قد أخطأنا العنوان .

انتظرت الباب بقلق كي يفتح . كنت في حيرة ، كيف سيكون أصحاب المنزل . ما هو شكلهم ، كيف سيتصرفون تجاهي . كل ما كنت اعرفه هو ان المراة ، هاتاي وزوجها جون هما من السود المتعاطفين مع الحركة .

لم يوجها لي الاسئلة عند دخولي منزلهما. تجاهلا التصرفات التقليدية التي تكتنف مثل هذه المناسبات . اخذاني ببساطة الى داخل المنزل وتقبلانني بحب واهتمام . لقد سمحا لوجودي بينهما بتعكير حياتهما . أصبح واحد منهما يلازمني في البيت على الدوام ، واعتذرا في تلك الفترة عن تقبل زيارات الاصدقاء الاعتياديين لئلا يراني أحد ما عندهما .

بعد عدة أيام ، بدأت اشعر بالاستقرار والطمأنينة التي تتناسب مع ظروفي . وبدا لي ، وكأنما سأكون قادرة على تعلم كيفية اغلاق عيني ساعات عديدة من الليل دون مشاهدة كوابيس مخيفة عن ما حدث في مارين . بل اصبحت قادرة على تركيز ذهني حول ما كانت تحدثني به هاتاي عن نفسها وعن عملها كرفيقة للرقص في المحلات العامة . كنت على استعداد للبقاء عندهم حتى تتحسن الامور . لكني علمت بان البحث عني قد

ازداد دقة (سمعت من التلفزيون ان البحث عني قد امتد حتى كندا) . كان واضحا ان مغادرة البلاد ، فترة من الزمن ، كان الحل الافضل لي .

كرهت ما كنت مقبلة عليه . كرهت وجودي رغم ادراكي لمخاطر **العمل السري** .

كنت واثقة من ان الصديق ، ديفيد بويند يكستر ، سيعمل كل ما في وسعه من اجل مساعدتي بالرغم من عدم التقائي به منذ فترة طويلة . تهيأت اولا للقيام بهذه الرحلة بمفردي ، ولم اتوقع من هاتاي الحاحا من اجل البقاء معي حتى عثوري على ديفيد .

بعد اتخاذ الترتيبات اللازمة . قدنا السيارة طوال الليل متوجهين نحو لاس فيغاس .

بدت هاتاي برشاقة جوزفين بيكر في شبابها . وكانت تدير الرؤوس اليها في كل مكان . من المعروف ان مطار اوهير في شيكاغو ، كان مركزا للتحقيقات وخاضعا بشدة لمراقبة الـ FBI . تسللنا من بين حشود الناس ، نبحث عن ديفيد الذي لم يكن في انتظارنا امام الباب. كانت الرسالة التي ارسلت اليه حافلة بالرموز والالغاز وربما لم يدرك ديفيد معنى تلك الرموز .

عندما طال انتظارنا ، صعدنا الى احدى سيارات الاجرة . وبعد وصولنا الى شقة ديفيد بسلام ، فارقتني هاتاي . عندما احتضنتها في اللحظة الاخيرة ، لم اتفوه بكلمة شكر لها . ان كلمات الشكر تبدو ضئيلة جدا لانسانة عرضت حياتها للخطر من اجل حمايتي .

كنت حتى تلك اللحظة ، قد نسيت حب ديفيد البالغ للحديث . وفي خلال الدقائق الخمسة الاولى اخذ يحدثني عن اشياء شتى في آن واحد مما دفعني الى سؤاله للتحدث بهدوء .

في غرفة المكتبة ، بحثنا الظروف المحيطة بي . لم يكن ديفيد قادرا على الغاء رحلته الى الغرب والتي كان من المقرر ان يبدأها في اليوم التالي. لكنه وعدني على اختصارها كي يعود في غضون ايام قلائل .

قدمني ديفيد فيما بعد ، الى روبرت لوهمان ، جاره . كان روبرت ، في تلك اللحظة « صديق ديفيد المقرب » وكان ايضا شخصا استطيع الاعتماد عليه في خلال الايام المقبلة .

في الظهيرة ، تعرفت على روبرت ، وفي مساء اليوم نفسه دخل مع ديفيد في مناقشة شديدة حول سيارتهما المشتركة (ماذا سيكون الموقف

لو أن أحدا ما قبض على ديفيد وهو يخفيني في سيـــارة مسجلة باسم روبرت !) .

عندما انتهت مناقشتهما ، كانت صداقتهما قد تحطمت. واصبح روبرت بالنسبة الينا ، مخبرا حاقدا ، وهذا ما ارغمنا على اعادة النظر في كافـة خططنا .

قبل ان يستغرق ديفيد فـي النوم (لم انم طـوال الليل) كنـا قـد اتخذنا قرارا بمغادرة شيكاغو في اليوم التالي .

كان تذكري للمرحلة الاولى من الرحلة جيدا، لكنه لم يكن كذلك بالنسبة للمراحل الاخرى . باروكة الشعر ، ذات الخصلات القليلة التجعيد ، تبدو قريبة من مظهري الاعتيادي . وقبل مغادرتنا شيكاغو ، اعطتني امرأة شابة (قلت لها بانني قريبة ديفيد) باروكة اخرى ذات شعر مجعد تمامـا . ثـم وضعت انواعا مختلفة مـن المساحيق علـى وجهـي واخيـرا رسمت لـي نقطة سوداء فوق زاويـة شفتي . شعرت بالغبـاء لوجود تلـك الالوان على وجهي ومع ذلك فلو ان والدتي بنفسها جاءت لتراني فانها لن تتعرف علي.

كنا قد قررنا التوجه نحو ميامي بسبب المراقبة الكثيفة التي فرضت على المطارات اكثر مـن غيرهـا . كانـت خطتنا تتحدد بالتوجه بواسطـة السيارة الى نيويورك ومن ثم الـى ميامي بالقطار .

في استراحتنا في احدى الفنادق الصغيرة القريبة من ديترويت ، سمعت خبرا من احدى محطات التلفزيون، «المطلوب اليوم القبض على انجيلا ديفز بتهمة القتل ، الاختطاف والتآمر واشتراكها في جريمة محكمة بلـدة مارين . وقد شوهدت انجيلا ديفز ، تغادر منزل والديهـا في برمنجهام / الاباما . ومن المعلوم انها قد حضرت اجتماعا للجنة المحلية لحزب الفهـود السود . وعندما علمت سلطات بيرمنجهام بأمرها ، كانت قد تمكنت من الهرب بواسطة سيارتها الزرقاء (رامبلر موديل ١٩٥٩) .

هل انهم يتحدثون عن شقيقتي ! لكنها من المفروض ان تكون الان في كوبا . والمرة الاخيرة التي رأيت فيها سيارتي ــ رامبلر ــ كانت مركونة في الشارع رقم (٥٠) امام منزل كيندرا وفرانكلين .

في مدينة ديترويـت ، اضعنا انفسنـا في الزحام بحثـا عن صانـع نظارات ليعمل لي وبسرعة زوجا منها . وكان علـي ايضا شراء بعض قطـع الملابس لانني لم اتزود بشيء منها .

ومن ديترويت ، ذهبنا بالسيارة الى نيويورك ، ثم حجزنا امـــاكن لنا في قطار استغرقت رحلته نحو ميامي يومين كاملين . وهناك ، وتحـت

اشعة الشمس الضئيلة ، حجزت نفسي في شقة غير مفروشة ، استأجرها لي ديفيد . في تلك الايام احسست وكأنني سجينة . كنت احسد ديفيد لقدرته على الخروج متى اراد ذلك ، بل انه سافر الى شيكاغو مرة . بقيت سجينة الشقة ، اقرأ ، استمع الى نشرات الاخبار في التلفزيون (الوحشية التي تعرضت لها المقاومة الفلسطينية في الاردن من قبل الملك حسين وايضا اخبار حوادث التمرد في سجن تومبز في نيويورك) .

في نهاية شهر ايلول كانت الدلائل تشير الى تعرضي لمطاردة محمومة وعنيفة . بدأت من جديد افكر في مغادرة البلاد . وكلما فكرت في ذلك ، كانت الامور تبدو بالنسبة لي اكثر فظاعة من دخولي السجن . في السجن سأكون على الاقل ، اكثر قربا من ابناء مجتمعي واكثر التصاقا بالحركة .

لا . لن اغادر البلاد . ثم خطر لي تضليل الـ F B I وايهامهم بمغادرتي للبلاد . كان الشيء الاخير الذي فعلته في تلك الشقة ، كتابة بيان لتسليمه الى الصحافة . كتبت عن جوناثان المليء شبابا ورومانسية . كتبت عن براءتي وعن نجاحي في مغادرة البلاد ، واعدة بالعودة من اجل اثبات براءتي في المحكمة . وكتبت اخيرا بان نضالنا سوف يستمر .

١٣ اكتوبر / ١٩٧٠

عدنا الى نيويورك . مضى شهران على اختفائي . ومع شعوري بالآلام في معدتي وحنجرتي ، نهضت مبكرة ، وناضلت طويلا مع ادوات التنكر ، امضيت عشرون دقيقة في وضع مكياج لعيني وبذلت محاولات مع الباروكة من اجل توسيع أطرافها .

عندما غادرت وديفيد في الساعات الاخيرة من الصباح ، المنزل المؤقت ، كانت الحالة قد اصبحت يائسة تماما . بدأت نقودنا في النفاذ ، وقد وضعت المراقبة على كل من كنا نعرفه . تجولنا طويلا في شوارع نيويورك وقررنا اخيرا قضاء فترة الظهيرة في احدى دور السينما . انتهى الفيلم قبل الساعة السادسة . وعندما وصلنا بالقرب من الفندق الذي استأجرنا فيه غرفا لنا ، شعرت بوجود عدد من عملاء الشرطة من حولنا . بالتأكيد كان ذلك نوعا من الاوهام ! ومع ذلك،عندما عبرنا الابواب الزجاجية للفندق تولد لدي شعور مفاجيء بالعودة الى الوراء والركض بسرعة نحو الحشود المزدحمة التي كنت بينها قبل قليل ..

في داخل المبنى ، تعززت مخاوفي لدى رؤيتي لعدد كبير من الرجال

البيض في كل مكان . وبالرغم من ذلك لم يحدث لي اي شيء ، تماما كما كان يحدث في المرات المتعددة التي لا يمكن لي حصرها وذلك بسبب التوتر العنيف الذي كان يعصف بي .

كنت احاول استعادة رباطة جأشي لدى دخولي المصعد . صعد معنا رجل ابيض ممتلىء ذو وجه احمر . تجددت مخاوفي . وبدأت من جديد المحاورة التقليدية في داخلي . ربما لم يكن من رجال الشرطة ، ولو انهم حقا قد اهتدوا الى وجودنا ، فلماذا لم يلقوا القبض علينا في الطابق الاسفل ؟

وفي الفترة الزمنية التي أستغرقها المصعد في صعوده الى الطابق السابع ، اقنعت نفسي بان تخيلاتي المبالغ فيها ، قد خلقت من حولي جوا من الخوف وانه من الممكن ان يمر هذا اليوم بسلام .

وبحكم عادتنا في العيش في خفاء ، تريثت بضعة ياردات ، بينما توجه ديفيد لفحص الغرفة . عندما كان يدير المفتاح في القفل ، فتح شخص ما بابا في الطرف الآخر من الممر . قامة هزيلة تتطلع في الممر . عاد الخوف الي . ولكن قد يكون هذا الرجل الهزيل أحد نزلاء الفندق الصغير . ولكن شيئا ما في داخلي اخبرني بان سيناريو القاء القبض علي قد بدأ وان هذا الرجل كان الاول في قائمة اسماء الممثلين . شعرت بأن احدا ما يقف من خلفي . الرجل الذي كان في المصعد . والان لم يكن في ذهني اثر للشك . كان ذلك هو الشيء الحقيقي .

وبالتأكيد ، في اللحظة التي كان علي فيها التهالك فزعا وخوفا ، شعرت بهدوء اكثر وتماسك اشد مما كنت امتلكه منذ زمن طويل . رفعت رأسي عاليا وتوجهت نحو غرفتي . عندما عبرت الباب المفتوح المواجه لغرفتي ، اقترب مني الرجل الهزيل وقبض على ذراعي . لم يتفوه بشيء . وانهمر من ورائه عدد اكثر من العملاء . « انجيلا ديفز ؟ » « هل أنت انجيلا ديفز ؟ » انهالت الاسئلة من كل حدب وصوب . حملقت فيهم جميعا .

في خلال العشرة ثواني ما بين المصعد وبين نقطة التحدي، ، مزقت عقلي افكار من كل نوع . تذكرت البرنامج التلفزيوني الذي شاهدته في شقتي في ميامي : ميلودراما تلفزيونية تافهة عن العملاء الذين يطاردون الهاربين والتي انتهت بمقتل المطارد بعدة رصاصات في رأسه وظهور العملاء بمظهر الابطال . وعندما حاولت غلق جهاز التلفزيون ، شاهدت صورتي على الشاشة والتي بدت كجزء من الرواية التي كان ابطالها من عملاء الـ F B I . وقال صوت عميق : انجيلا ديفز ، هي واحدة من

في خلال العشرة والاثنتي عشر ثانية مـــا بين المصعد وبين نقطـة عشرة مجرمين المطلوبين اكثر من قبل الـ F B I . هي مطلوبـــة بتهمة القتل ، الاختطاف ، والتآمر . من المحتمل جدا ان تكون حاملة لسلاح ما . ولذلك لا تحاول ان تفعل شيئا في حالة رؤيتك لها . اتصل بدائرة الـ F B I في منطقتك في الحال . « او بكلمة اخرى » دع رجل الـ F B I يتولى شرف قتلها بالنيابة عنك .

كنت وديفيد غير مسلحين . لم يكن امامنا فرصة للدفاع عن انفسنا . عندما اقترب مني الرجل الهزيل رأيت مسدسا في يده . تخيلت الضجة التي ستقوم بعد اطلاق النار وتخيلت جثتينا منطرحتين علـــى الارض ، غارقتين في بركة من الدماء في ممر (موتيل هوارد جونسون) .

ارغموا ديفيد على دخول غرفة على اليمين ودفعوني الى غرفـة اخرى على اليسار . وهناك انتزعوا عن شعري الباروكة . قيدوا يدي الى الخلف واخذوا بصمات اصابعي في الحال . وفي خلال ذلك كله ، كانوا يسألونني : هل انت انجيلا ديفز ؟ « انجيلا ديفز » . « انجيلا ديفز ؟ » . لم أقل شيئا. من المؤكد انهم قد مروا سابقا في حالات كثيرة مثل هذه . وكانوا قد اعادوا مثل هذا المشهد مع المئات من النساء الطويلات القامة ، ذوات البشرة الفاتحة السواد واللواتي كان يشتبه في كونهن انجيلا ديفز . ان بصمات الاصابـع في هذه المرة ستؤكد لهم بأنهم قد قبضوا على انجيلا ديفز الحقيقية فـــي هذه المرة . قورنت البصمات . ظهرت دلائل الارتياح على وجه رئيسهم وحلت محل التعب والارهاق . عند وقوفي هنـــاك ، قررت الاحتفاظ بكرامتي . اتخذت الاجراءات اللازمة لاخراجي من الفندق الصغير . لا بد وان هؤلاء العملاء قد تخيلوا صورة مخيفة عني كواحدة من المجرمين العشرة المطلوبين بالدرجة الاولى في البلاد ، واحدة ترمز الى العدو الشيوعي الاسود الشريـر .

بواسطة عشرة من العملاء اقتدت الى الخارج ، مخترقة الحشـــود التي بدأت تتجمع في الطابق الاسفل وفي الممرات .

كان في انتظاري قافلة من العربات . وانا في العربة المنطلقة بسرعة ، لمحت ديفيد في سيارة اخرى .

كانت يداي مقيدتان الى الخلف بشدة، ولولا مقدرتي على حفظ توازني على حافة المقعد الخلفي لتوقفت الدورة الدموية فيهما . استدار الي العميل الجالس على المقعد الامامي قائلا وهو يبتسم : « آنسة ديفز ، هل ترغبين في سيكارة ؟ .

تحدثت للمرة الاولى معهم : « ليس منك » .

وفي داخل مقر الـ FBI ، توقفت العربة . فتشتني احدى الشرطيات وبالرغم من ان تنورتي الصوفية القصيرة والبلوزة القطنية الخفيفة ، لم تكونتا قادرتين على اخفاء اي نوع من السلاح .

فيما بعد ، وفي غرفة مضاءة بالفلوريسنت ، انضم الي عدد من العملاء . اتخذوا اماكنهم في مواجهتي ، فتحوا اوراقهم وكلهم ثقة من انهم سيدخلون في تحقيق طويل وشاق . وقبل ان يشكلوا سؤالهم الاول، اخبرتهم بعدم وجود اية معلومات لدي للافضاء بها الى الـ FBI .

كنت اعلم بانهم لا يمثلون حقا قانونيا في اعتقالي اية فترة زمنية قبل السماح لي بالاتصال بمحامي عني . وبالرغم من ذلك ، لم يسمحوا لي باجراء اية مكالمة هاتفية . تجاهلوني تماما ، واخيرا ، اخبروني بان محاميا يدعى جيرالد ليفكورت يطلب التحدث معي تلفونيا . لم اكن قد قابلت ليفكورت سابقا ، وكان اسمه معروفا لدي من خلال دفاعه عن (١٢) عضوا لحزب الفهود السود في نيويورك .

في غرفة كبيرة ، شاهدت سماعة التلفون مرفوعة عن الجهاز ، ولم يكن ليفكورت على الطرف الآخر . عندما نظرت فيما حولي ، شاهدت الحاجيات العائدة لي مبعثرة على احدى المكاتب ، وعلى مكتب آخر كانت قد تبعثرت حاجيات ديفيد . كان عدد من العملاء منهمكين في فحصها بدقة.

في خلال نزولي من المصعد ، كانت يداي مقيدتين الى الامام . وكانت افكاري بعيدة جدا عن المكان . عندما انفتحت الابواب ، بهرتني الاضواء الشديدة التي انهمرت علي . اذن من اجل ذلك قيدوا يدي من الامام وليس من الخلف ! واستطعت ان أرى حشودا من الصحفيين والمصورين .

حاولت بصعوبة الا ابدو مشدوهة ، رفعت رأسي ، جعلت قامتي مستقيمة ، ومع العميلين المحيطين بي ، اجتزت الممر الطويل ، ما بين اضواء العدسات والاسئلة المنهمرة علي ، متوجهة نحو العربة المنتظرة في الخارج .

عندما بدأت السيارة تبطىء في سيرها ، عرفت اننا في مكان ما في قرية كرين ويج . وعندما استدارت السيارة نحو ممر مظلم ، انفتح امامنا باب فولاذي ، وقفز من بين الظلال ، مرة اخرى ، حشود من المصورين مع اضواء عدساتهم . بدا لي المكان مألوفا . وبالطبع ، كان ذلك المكان المليء بالاسرار والذي كنت اشاهده غالبا في خلال دراستي في مدرسة اليزابيت ايرفن العليا والذي يقع على مقربة منه . كان المكان معتقل نيويورك للنساء .

عندما كانت السيارة تندفع نحو مدخل المعتقل ، ايقظتني سيول من الذكريات . عندما كنت اسير في الشارع الفرعي المؤدي الى محطة القطار

بعد انتهاء المدرسة ، كنت معتادة يوميا على النظر الى هذا المبنى محاولة عدم استماع الاصوات الفظيعة التي كانت تتسرب من نوافذه . كانت تلك الاصوات آتية من النساء السجينات خلف القضبان واللواتي كن يتطلعن الى المارة ويصرخن بكلمات غير مفهومة .

في الخامسة عشر من عمري ، تقبلت بعض الاساطير التي كانت تدور حول السجناء . لم اتصورهم تماما مثل ذلك المجتمع الاجرامي الذي قيل انهم يمثلونه . في ذلك الوقت ، لم اكن أدري ماذا افعل عندما كنت اشاهد الخطوط الخارجية لرؤوس السيدات المطلة من خلال نوافذ السجن . لم افهم ابدا كلامهن ، هل كن يصرخن طلبا للمساعدة او كن ينادين شخصا معينا او انهن ببساطة كن يودن التحدث مع اي انسان « حر » .

بدا لي داخل السجن على النقيض من المبنى الذي غادرته قبل قليل. كان مركز الـ F B I حديثا ، نظيفا بشكل غير اعتيادي . وكان معتقل النساء قديما ، رطبا وقذرا . كانت غرفة الاستقبال بلا طلاء وارضيتها قذرة وموحلة .

جلست على مصطبة خشبية مع عدد من النساء الاخريات . جيء بالطعام ، لكني لم امتلك شهية لتناول قطع اللحم المتغضنة وشرائح البطاطا الباردة .

فجأة ، حدثت ضجة في الخارج . مجموعة من النساء كن في الانتظار . قالت لي احدى الاخوات بان هؤلاء النسوة قد عدن من المحكمة .

كانت كافة اولئك النسوة اما سوداوات أو بورتريكيات ولم تكن بينهن امرأة بيضاء واحدة . سألتني احداهن : « هل انت اسبانية » ، لم اتصور في بادىء الامر انها تعنيني بسؤالها ، لكني تذكرت فيما بعد مظهري، شعري البسيط المنسدل بعد ان انتزع العملاء الباروكة عني .

اقتدت الى الخارج والنسوة ما يزلن امام السور . تصورت بانني في طريقي الى الزنزانة وبدلا من ذلك وجدت نفسي في غرفة واسعة لا نوافذ لها ، يضيئها مصباح كهربائي صغير .

تولت امرأة بيضاء حراستي . وفيما كنت اتطلع الى القصاصات الملصقة على الجدران ، رأيت صورتي والمعلومات التي وزعتها الـ F B I عني في ملصق كبير . انتزعت الحارسة ذلك الملصق ، تحولت عيناي الى ملصق آخر . ولدهشتي ، كانت تحمل صورة وأوصاف امرأة كنت اعرفها في مرحلة الدراسة الثانوية ، كاتي بودين ، كانت زميلتي في تلك المرحلة وهي الان في قائمة المطلوبين من قبل الـ F B I .

عندما تغيرت نوبة الحراس ، كنت لم ازل في تلك الغرفة المعتمة ، ارسلت حارسة اخرى . كانت سوداء ، شابة واصغر مني سنا . عندما اقتربت مني لم الحظ عليها دلائل الخشونة التي وجدتها لدى الاخريات . كانت تجربة منزوعة السلاح . لم يكن السبب كونها سوداء . لقد واجهت حارسات سوداوات من قبل في سجون سان دياغو (لوس انجلس) بل كان السبب كونها غير عدوانية ومتعاطفة .

في بادىء الامر ، كانت تمارس تكتيكا معينا ، وبعد بضعة دقائق ، اخبرتني بصوت هادىء : « عدد كبير من الموظفين هنا ـ السود ـ كانوا يبغون مساعدتك ، كنا نأمل ان تنجحي في الوصول الى مكان امين » .

اردت التحدث معها ، لكنني احسست بان الامر يتطلب الحذر .

سألتها عن سبب تأخر الاجراءات ، ولم تكن لديها أية تفصيلات ولكنها قالت بانهم يفكرون في كيفية عزلي عن السجينات الاخريات . وكانت احاسيسها تقول بانهم سيحتجزونني في رقم (٤) وهي الردهة المخصصة للنساء اللواتي يعانين من اضطرابات نفسية .

نظرت اليها غير مصدقة ، ان اغلقوا علي الابواب خلف ردهة للمرضى العقليين ، فان خطوتهم التالية ستكون الاعلان عني كمجنونة . ربما سيحاولون ان يقولوا ان الشيوعية هي مرض نفسي ـ شيء شبيه بالماسوشتية .

حاولت ان اذكر الحارسة بالنداءين الهاتفيين اللذين يسمح بهما لكل معتقل . كنت في حاجة الى محامي .

قالت : محامي باسم جون آبت كان يحاول الاتصال بك . ولكن الساعات المخصصة لزيارة المحامين قد انتهت . انني آسفة لا استطيع مساعدتك . « قلت : وان لم استطع مقابلته ، الا يسمح لي بالتحدث معه تلفونيا ! » .

قالت : « هؤلاء الناس ، لم يقرروا كيفية التعامل معك . يقولون انك سجينة فيدرالية . والمسؤولون الفيدراليون فقط يستطيعون منك حق النداءات التلفونية . او على الاقل هذا ما يقوله (الكابتن) » .

وامام الحاحي قالت : « انت تعلمين ان السجناء هنا لا يسمح لهم باجراء المكالمات الهاتفية . عليك كتابة الرقم الذي تطلبينه ورسالتك اليه على ورقة خاصة وسيتولى الامر موظف مختص بدلا عنك » .

جاء دوري اخيرا . بصمات اصابعي كانت مثبتة على استمارة برتقالية اللون ، وعلمت فيما بعد انها بمثابة هوية للسجينات وعليهن

الاحتفاظ بها على الدوام . مرة ثانية قاموا بتفتيشي . قاومت التفتيش الثاني . ومن المرأة الجالسة معي في الانتظار ، علمت بانهم سيفتشوننا داخليا في هذه المرة . وعلمت بان المعتقلات كن يخضعن دائما للتفتيش الداخلي من الامام ومن الخلف قبل ذهابهن الى المحكمة وبعد عودتهن منها .

كانت الساعة الواحدة صباحا، عندما تم تسجيلي رسميا في السجن. لم يكن قد بقي في غرفة الاستقبال في تلك اللحظة غير ثلاث نساء . احداهن حملقت في لمدة طويلة وسألتني اخيرا فيما اذا كنت انجيلا ديفز . عندما اومأت لها برأسي مبتسمة ، قالت بانها في اثناء عودتها من المحكمة ، شاهدت في الخارج ، حشدا يتظاهر من اجلي ـ اناس مختلفون ـ شباب . متقدمون في السن ، سودا وبيضا .

« ماذا ! أين ؟ » لقد اثارتني جدا فكرة وجود اناس من الحركة بالقرب مني .

طلبت من الاخت الصمت بعض الوقت . ان ارهفنا السمع جيدا ، لتمكنا من سماع أصواتهم . نعم ، بالتأكيد ، تسللت الينا نغمات غامضة عبر الجدران السميكة . خارج تلك البناية ، كانوا ينشدون « اطلقوا سراح انجيلا ديفز » . هكذا قالت الاخت التي اعتقلت بتهمة حيازة الهيروبين .

كان المعتقل يسبح بأكمله في الظلمة عندما وصلت اخيرا الى زنزانتي في الردهة رقم (٤) . كانت لا تزيد عن اربعة اقدام ونصف عرضا . اما قطع الاثاث الوحيدة فيها فكانت : سرير حديدي مسمر في الجدار ، تواليت بلا مقعد بالقرب من مؤخرة السرير . بعد اغلاق الباب علي ، جاءت الى الباب الحديدي حارسة اخرى ، شابة سوداء ، همست لي بانها قد دست من تحت الباب قطعة من الشوكولاتة . كانت تبدو مخلصة ، لكنني كنت قد قررت اتخاذ الحيطة والحذر دائما . كنت على دراية تامة بحوادث الانتحار التي تحدث عادة في سجون كاليفورنيا واستنادا الى ذلك ، كنت اشك بوجود مادة سامة في قطعة الشوكولاتة تلك .

في ليلتي الاولى في السجن ، لم اشعر برغبة الى النوم . تذكرت جورج واشقاؤه في سجن سان كوينتين . تذكرت جوناثان . تذكرت والدتي ووالدي ثم تذكرت التظاهرة التي حدثت خارج السجن وفكرت في كافة اولئك الناس الذين تخلوا عن كل شيء في سبيل الكفاح من اجل حريتي .

القي القبض علي وهناك محاكمة في انتظاري في كاليفورنيا بتهمة القتل ، الاختطاف والتآمر . ان ادانتي باية تهمة منها يعني الموت في غرفة الغاز . كانت معنوياتي مرتفعة ، ومع ان النضال سيكون شاقا فانني قد

لمحت اولى بوادر الانتصار. في الصمت الثقيل المخيم على السجن، اكتشفت، انني ان اصغيت جيدا ، لتمكنت من سماع شعارات تنشد في الطرف الاخر من الجدار « الحرية لانجيلا ديفز » . « الحرية لجميع السجناء السياسيين » .

أدهشني صوت المفتاح وهو يدور في قفل باب الزنزانة . كانت حارسة تفتح الباب لامرأة سوداء ممتلئة القوام ، تحمل صينية كبيرة في يديها .

قالت بصوت هادىء وهي تبتسم : « هذا هو افطارك . هل تريدين بعض القهوة ؟ » .

كانت تصرفاتها المريحة قد اشعرتني بوجودي بين البشر من جديد .

جلست على السرير ، شكرتها وانا ابدي لها رغبتي الحارة في الحصول على قدح من القهوة .

نظرت فيما حولي واكتشفت عدم وجود مكان لوضع الصينية عليه . وكانت الاخت، بالتأكيد، قد مرت في خلال عملها بمثل هذه الحالات بكثرة. انحنت لتضع الصينية على الارض : شرائح رفيعة من الذرة . قدح مملوء بالحليب . قطعتان من الخبز الابيض . قدح آخر من الورق بدأت تصب فيه القهوة .

« هل هناك قهوة سوداء » ؟ سألتها ، لانني لا استسيغ تناول القهوة بالحليب ، ولانني ايضا تذرعت بهذه الحجة من اجل تبادل المزيد من الكلمات معها .

قالت « كانت القهوة هكذا عندما سلمونا اياها . » ثم اضافت « لكني سأستفسر فيما اذا كان بامكاني جلب القهوة السوداء لك غدا » .

طلبت مني الحارسة الاستعداد للذهاب الى المحكمة ، ثم اغلقت الباب . وعندما كانت تحاول فتح باب الزنزانة المجاورة ، همست لي من خلال القضبان : « لا تقلقي من اجل اي شيء . كلنا نقف الى جوارك . » ثم اختفت في الممر .

نظرت الى فطوري وشاهدت صرصارا قد سبقني اليه . ابقيته على الارض دون ان المس منه شيئا .

كانت الظلمة ما تزال مخيمة عندما وصلت قافلة السيارات الى قاعة المحكمة الفيدرالية . العناوين البارزة في الصحف التي لمحتها تحت ابط أحدهم ، اذهلتني : القاء القبض على انجيلا ديفز في نيويورك . وخطر لي فجأة ان مجموعة الصحفيين الذين حشدتهم الـ F B I قبل يومين ، لا بد

وان كتبوا اشياء مماثلة لهذه العناوين في طول البلاد وعرضها . وغمرتني مشاعر الارتباك بعد ان اصبح اسمي الان معروفا من قبل الملايين من الناس. ومع ذلك ، كنت واثقة ، من ان هذه الضجة الاعلامية ، لم تكن تستهدفني انا بالذات ، كحالة فردية . **لقد استغلوا اسمي من اجـــل احاطة الشكوك بحركة تحرير السود واليسار بشكل عام والحزب الشيوعي بالتأكيـــد . كنت ذريعة في ايديهم .**

الزنزانة التي امضيت فيها بضعة ساعات كانت انظف من الاولى وقـد بدت لي كغرفة حمام كبيرة غير مؤثثة .

جاء أحدهم الى الزنزانة .

« ليست لدي معلومات للافضاء بها اليكم قبل اتصالي بالمحامي » .

اجابني : « محامي والدك ينتظر في الخارج » .

محامي والدي ! ربما كان صديقا ينتحل شخصية « محامي والدي ».

وفي قاعة كبيرة مليئة بالمناضد الطويلة ، كان ينتظرني جون آبت . لم اكن قد التقيت به في السابق ، لكننـي كنت اعرفه من خلال دفاعـه الناجح في العديد من محاكمات اعضاء حزبنا . بشعور عظيم من الراحة ، جلست اتحدث معه .

اخذ آبت ، يشرح لي التهم التي الصقتها بي المحكمة الفيدراليـة . وقبل الدخول في مناقشة التفاصيل القانونية للتهمة ، شاهدت مجموعة من الاشخاص في الطرف الاخر من القاعة . لم استطع تمييزهم بشكل جيد من غير نظاراتي التي كان عملاء الـ FBI قد انتزعوها مني . لكننـي استطعت تمييز وجه ، امرأة شابة سوداء .

صرخت : « انها ماركريت » .

كانت ماركريت بورنهام صديقة قديمة لي . وكنا في يوم من الايام نسكن منطقة واحدة في بيرمنجهام . عندما انتقلت عائلتها الى نيويورك ، استمرت عائلتنا في زيارتهم كل صيف ولمدة اربعة اعوام . كنت لم التق بماركريت منذ اعوام بعد زواجها واستقرارها في الميسيسيبي .

« ماركريت » صحت باعلى ما استطيع ، « تعالي الى هنا » . عندما اقتربت مني احتضنتها .

« ماركريت انني في غاية السعادة بسبب مجيئك . « ثم انغمرنـا في احاديث خاصة الى درجة نسيت فيها تقريبا ان هناك عمـلا يجب اتمامه . سألتها اخيرا ،

« هل تستطيعين العمل في القضية » ؟

اجابت « نعم ، بالتأكيد وانت تعرفين ذلك » .

وخيل الي في تلك اللحظة ، ان نصف المعركة قد انتهت بانتصاري . ثم مضى جون في شرح الجوانب القانونية للموضوع .

في شهر آب ، وجهت لي محكمة بلدة مارين تهمة القتل ، الاختطاف والتآمر ، استنادا الى مصادر موثوق بها . واستنادا الى معلومات جون آبت ، كان من الممكن نقلي الى كاليفورنيا ومحاكمتي هناك فيدراليا .

فيما نحن نناقش هذه المسألة ، دخل ديفيد القاعة محاطا بالحراس . كانت المرة الاولى التي اشاهده فيها منذ اعتقالنا . عندما نظرت اليه علمت بانه ايضا لم ينم ما فيه الكفاية .

في صوت بارد صاح بي : « تذكري الان ، مهما يكن الامر ، فاننا سننتصر » .

وصاح احدهم : « ممنوع الكلام بين السجناء » .

قلت ، متجاهلة الامر ، » نعم ، ديفيد ، كن واثقا من سيطرتك على نفسك » .

لم اشاهد قاعة للمحكمة بمثل ذلك الحجم الصغير . كانت القاعة تتسع فقط لمصطبة واحدة وصف من الكراسي . وكان القاضي نفسه ضئيل الحجم مثل قاعته . تذكرت حارس سجن سوليداد او . جي . ميلر وهو يصوب بندقيته للاخوة الثلاث الذين لاقوا حتفهم في باحة السجن في شهر كانون الثاني الماضي .

كانت القاعة خالية من المشاهدين ، وعندما دخلتها لمحت نسخة من كتاب جورج «الاخ سولیداد» فيد سجينةجالسة علىمقربة منالباب. كانت هذه هي المرة الاولى التي ارى فيها الكتاب مطبوعا بعد ان كنت قد قرأته على شكل مسودة في السابق .

اجراءات المحكمة كانت سريعة ، انحصر عملهم في التأكيد من انني انجيلا ديفز المعنية بالامر. وقد حدد مبلغ الكفالة لاطلاق سراحي بـ ٢٥٠،٠٠٠ دولار . فمن يجرؤ على كفالتي بهذا المبلغ الضخم ؟

كان الوقت ما يزال مبكرا في الصباح لما عدت الى زنزانتي . حاربت فكرة بقائي منفردة . كنت اسير من طرف الزنزانة الى طرفها الاخر وانا اردد مع نفسي بانه ليس من حقي القلق من اجل بضعة ساعات امضيها وحدي في الزنزانة . ماذا بالنسبة للاخ جادلس جوردان الذي امضى سنوات طويلة في زنزانة مظلمة صغيرة في سجن سوليداد ، لا تتسع الا لجسده كي يتمدد على الاسمنت البارد ، وتفوح من حوله روائح البول

والفضلات ، لان التواليت الوحيدة فيها كانت حفرة صغيرة في الارض تكاد لا ترى من شدة الظامة .

تذكرت المشهد الذي كان قد وصفه جورج في مسودة كتابه (الاخ سوليداد). كان قد رسم منظر السماء في الليل علي سقف زنزانته بسبب حرمانه لاعوام طويلة من رؤية القمر والنجوم . وعندما اكتشف الامر ، اعاد السجانون طلاء زنزانته باللون الرمادي . وهناك ايضا اريكا هاجنس ، اريكا بوبي ، الاخوة سوليداد ، سوليداد (٧) ، متمردو تومبز وآخرون لا حصر لهم من الذين قد اختفوا خلف كميات كبيرة من الكونكريت والحديد وكميات هائلة من الاقفال والسلاسل : فكيف يخطر ببالي التأسف من اجل نفسي ؟

عندما فتح احدهم الباب اخيرا ، كان الوقت متأخرا في المساء . ماركريت وجون في انتظاري لمرافقتي الى المحكمة مرة اخرى . اعلن القاضي المتقدم في السن عن الغاء مبلغ الكفالة واطلاق سراحي استنادا على اقرار مني . كيف يحدث ذلك ! هل اخطأت الفهم ؟ وسرعان ما اقترب مني الحراس لفك القيود عني . قال القاضي شيئا اخر ، اقترب مني رجال آخرون ليضعوا قيودهم حول معصمي . لقد تم تحويلي الى شرطة نيويورك .

ومع رجال الشرطة ذهبت الى دائرتهم حيث تم تسجيلي رسميا سجينة لولاية نيويورك . معلومات ، بصمات اصابع ، صور ، الروتين نفسه تكرر من جديد . كان رجال شرطة نيويورك في حيرة من امرهم . وارتباكهم ادخل الهدوء الى نفسي . وعلمت منهم بان الامر يقتضي مني حضور جلسة اخرى للتحقيق .

كانت قاعة محكمة نيويورك اكبر من اي قاعة قد رأيتها حتى ذلك الوقت . انتظرت طويلا حتى وصل جون ، وبعد ساعات الانتظار الطويل ، ام يستغرق التحقيق معي الا دقيقتين فقط .

بعد عودتي الى المعتقل ، كنت مجهدة نفسيا وعاطفيا ، بحيث ان السرير الحديدي الملتصق بالجدار بدا لي مريحا جدا . وحالما اغمضت عيني ، اذهلتني اصوات صرخات قوية بلهجة قريبة من السلوفاكية . كانت تلك الاصوات آتية من زنزانة في الطرف الاخر من الممر . اصوات اقدام تقترب من الزنزانة، اصوات اخرى تحاول عبثا تهدئة المرأة باللغة الانكليزية. استمعت الى صرخات تلك المرأة طوال الليل حتى قاموا بنقلها الى مكان اخر في الصباح .

اكتشفت فيما بعد انه لا يسمح للسجينات بطلب اي شيء . لم تكن عيدان الثقاب او علب السجائر محظور تداولها فقط بل ايضا الكتب ، ادوات الكتابة ، فرشاة الاسنان ، الصابون ، الملابس والاحذية . كانت السجينة لا تستطيع الاحتفاظ بشيء فيما عدا الاشياء التي تمنحها لها ادارة السجن ومنها : قميص للنوم . خفيف ذو لون اخضر فاتح .

لم تكن السجينات على علم بوجود سجينة جديدة بينهن . وقبيل موعد الغذاء ، فتحت ابواب الزنزانة . رأيت عددا من السجينات في « غرفة النهار » . كانت كل واحدة من اولئك النسوة منعزلة عن الاخرى بافكارها ووجودها . وفيما بعد علمت ان هؤلاء النسوة ، كن يتناولن مادة الـ ثورازاين مع وجبات طعامهن يوميا وهذه المادة هي السبب في تخدير مشاعرهن .

وحتى في « غرفة النهار » ، لم يكن مسموحا لنا بحيازة علبة للسجائر بل كنا نأخذ كل سيجارة من الحارسة الجالسة معنا . وعندما يدخن المرء باستمرار ، مثلما كنت في تلك الفترة ، كانت عملية جلب السجائر وحدها دافعا للجنون .

كنت قد استنكرت علنا وجودي في الردهة (٤) . لم اكن انتمي الى ذلك المكان . بدأت في تقديم طلبات لا أستطيع عدها لما علمت بوجود مكتبة في المعتقل . كان الجواب على طلبي انه في استطاعتي طلب الكتب من المكتبة وقراءتها في الزنزانة . وعندما لم اتلق استجابة ما بالنسبة لطلباتي من المكتبة او حتى من مخزن التموين ، أيقنت انني بالغت جدا في تقديري لاهمية هاتين المؤسستين في المعتقل .

كان النهار يجر نفسه ببطء شديد . كنت اتساءل عن موعد زيارة المحامين . اخيرا نودي علي لمقابلتهم .

كان يسمح للمعتقلات اللاتي لم تتم محاكمتهن بارتداء ملابسهن الخاصة ، ومع ذلك فان نساء الردهة (٤) ، كن يرتدين ملابس خاصة . لهذا ، ذهبت الى الطابق الاسفل وانا مرتدية فستانا قطنيا قصيرا . عاد الي مظهري الطبيعي . كنت منفعلة جدا بسبب هذه الزيارة للطابق الرئيسي الى درجة نسيت فيها متاعبي .

عندما انفتح الباب الحديدي ، انهالت على اذني اصوات السجن والسجناء الغريبة ـ صرخات المرضى العقليين ، اصوات المفاتيح ترن في ايدي الحراس . تعرفت بعض النسوة علي وابتسمن لي بحرارة او اومأن لي اشارة الى التضامن . توقف المصعد في الطابق الثالث حيث يقع مخزن

التموين . النسوة اللاتي كن في انتظار المصعد تعرفن علي واخبرنني بلهجة ودية عن وقوفهن الى جواري . كن من « النسوة الخطيرات » واللاتي ، كما قالت ادارة السجن لي ، من المحتمل قيامهن بمهاجمتي لكراهيتهن الشديدة للشيوعية .. ومن اجل ابعادي عنهن ، تم حجزي في ردهة الامراض العقلية . كانت تلك الزيارة والزيارات الاخرى المماثلة الى الطابق الرئيسي للمعتقل قد أكدت لي شيئا واحدا : ان ما تدعيه سلطات المعتقل من احتمال قيام السجينات بايذائي امر لا اساس له من الصحة .

مع ماركريت بحثت المشكلة الاولى وهي ايجاد الوسيلة الملائمة لاخراجي من الردهة (٤) الى الطابق الرئيسي .

وفي الايام التالية ، لم يفلح تعودي على الروتين اليومي للردهة (٤) من ازالة الفزع المتولد لدي من جراء معيشتي خلف القضبان . لم يكن اهتمامي منحصرا في نفسي فقط ، بل امتد ليشمل ايضا كافة الحالات الاخرى في الردهة (٤) . مهما كانت المشاكل التي كن يعانين منها فان هذه المشاكل لم تجد حلولا لها بل انها ازدادت ضراوة .

في الزنزانة المجاورة لي ، كانت تعيش امرأة بيضاء يتراوح عمرها ما بين الـ (٣٠ ــ ٤٥ سنة) . كانت قد فقدت كل اتصال لها مع الحقيقة وفي كل ليلة وقبل ان تأوى الى النوم كانت زنزانتها تهتز بصرخاتها . وفي بعض الاحيان ، كان صراخها وفورات ثورتها تملأ المكان بعد منتصف الليل . كانت لهجتها الرخيصة ولغتها الوضيعة تثير فيّ غضبا شديدا . وتدفعني الى منع نفسي من تحطيم جدار الكونكريت والحديد الذي يفصلني عنها .

عندما رأيت هذه الانسانة المثيرة للشفقة ، كان من الواضح انها قد وصلت الى مرحلة متأخرة من المرض ــ بعض مراحل الشيزفرونيا ــ . كانت بارباره في كل ليلة وكل صباح يوم تالي تدخل مناقشة عنيفة مع شخص غير مرئي . وفي معظم الاحيان يكون ذلك الشخص رجلا اسودا ، منحرف جنسيا يهاجمها بعنف .

وفي الزنزانة المجاورة لبربارا ، امرأة بيضاء شابة ، كانت تتناول من الـ (الثوريزاين) جرعة اكبر من زميلاتها . وفي يوم من تلك الايام النادرة التي كانت فيها تمتلك وعيها وادراكها ، سألتني ان كان بأمكاني مساعدتها . عندما سألتها عن التهم الموجهة اليها ، بدأت الدموع تنساب من عينيها وهي تردد « لست قادرة على ان افعل تلك الاشياء التي يقولونها ، ليس في مقدرتي قتل طفلي » .

كانت خائفة الى حد دفعها الى عدم الافضاء بالمعلومات التي لديهـــا حتى الى المحامي . كانت في تلك اللحظة محطمة تماما بسبب قيام طبيبها (المؤدي للقسم) بافشاء كافة اسرار (حالتها) للقضاء .

كانت ساندرا ، اكثرهم مأســـاة ــ وهي المراهقة المتهمة بتنـــاول المخدرات ــ . في اليوم الاول لوجودي في الردهة (٤) ، خرجت مـــن زنزانتها لتناول الطعام . وفي اليوم التالي ، تجاهلت عملية فتح ابـواب الزنزانات . كانت طوال الوقت تقوم ، بهدوء وانتظام ، بانتزاع شعـرات من رأسها . ومنذ ذلك اليوم ، كنت اراها وهي تجلس بهدوء على سريرها ، ممسكة بالشعرات التي انتزعتها من رأسها . وعندما حان موعد مغادرتـي للمعتقل كانت ساندرا قد اصبحت رقيقة كالعظم ، وكان كل ما تبقى مـــن مظهرها الاعتيادي ، بضع خصلات من شعرها على طرف واحد من رأسها الاصلع .

كان الاسبوع الذي امضيته في الردهة (٤) ، اسوأ بكثير من اردأ انواع السجن الانفرادي . ومما زاد الامر سواء هو فشل محاولاتي العديدة لمساعدة اولئك النسوة المريضات . لقد اكتشفت وجود جدار ــ اكثر متانة من جدران زنزاناتنا ــ يفصلنا عن بعض . لم استطع ان امنع نفسي مـن القنوط بسبب حالاتهن ، وفي اعتقادي ، ان العلاج النفسي يتطلب الوصول الى جذر المشكلة وذلك بدراسة المنشأ الاجتماعي للعديد من حالات الامراض العقلية . وبالتأكيد كان هذا الشيء مفقودا في السجن .

في انغلاقي في الارض الخراب حيث كانت تعيش المريضات المخدرات وحارساتهن اللامباليات ، كانت حياتي قد انحصرت على زيارات ماركريت اليومية . كانت تلك الزيارات بمثابة واحات تعيد الي انسانيتي المهدورة .

وكانت ماركريت ايضا واسطتي الوحيدة لاستمرار علاقتي مع الرفاق والاصدقاء والاهل .

انحصرت معركة ماركريت الاولى في التشديد على ضرورة اخراجي من الردهة (٤) . تنقلت من موظف الى اخر في محاولاتها تلك . وبعـد مضي اكثر من اسبوع ، علمت ماركريت من احدى الحارسات عن صدور قرار بنقلي الى القسم الرئيسي للمعتقل . بعد العشاء بقليل ، جاءت احدى المشرفات لنقلي من الردهة (٤) . جمعت حاجياتي ــ فساتين السجن ، ملابسي الداخلية وبعض المجلات التي كنت قد نجحت في ادخالها . ودعت النسوة السابحات في احلامهن المخدرة ثم تبعت المشرفة من خلال الباب الحديدي .

كان السرير المحدد لي في مقدمة قاعة الطابق العاشر ، حيث كانت اكثر من مائة امراة مستلقيات على اسرتهن . وبعد عشاء لا طعم له في غرفة الطعام المجاورة ، بدأت حديثي مع مجموعة من النسوة . كان حديثنا يدور حول السجن والمشاكل الشخصية لكل واحدة منهن . استجمعت واحدة منهن شجاعتها في النهاية لتسألني عن ماهية الشيوعية . بدأن في الاستماع . وانتهزت تلك الفرصة لاخبارهن بان معظم ما كن يسمعنه عن الشيوعية لا يعدو مجرد أكاذيب .

وقبل خلودي الى النوم ، اقتربت مني امراة بيضاء لتهمس بصوت خافت جدا : « انني سجينة سياسية ايضا . وفسرت لي الامر بقولها ان صديقا لزوجها كان قد اعتقل بسبب حيازته للمتفجرات في اوكلاند . وبسبب ذلك تم اعتقالها في نيويورك .

كانت ادارة السجن خائفة من ان احاول الهرب بمساعدة عدد من الاصدقاء في الخارج . بل ان بعض الاقاويل اكدت ان الادارة قد اكتشفت مؤامرة لانقاذي . لم ادر ان كانت تلك الاقاويل صحيحة ام انها كانت مجرد اشاعات يتناقلها السجناء . ربما كان الامر مؤكدا ، ففي اليوم التالي فقط علمت بأمر نقلي الى قسم اخر في المعتقل . تم نقلي هذه المرة الى زنزانة منفردة ، معزولة عن الممرات الاخرى في الطابق السادس . عندما حاولت معرفة سبب ذلك ، قالت لي الموظفة انها تنفذ اوامر المسؤولين فقط . ولم يكن شيئا مستعصيا علي في الربط ما بين حديثي مع النسوة عن الشيوعية وبين هذه الخطوة الاخيرة .

نظرت بغضب فيما حولي في الزنزانة ، غير مصدقة ما حدث . ولم يكتفوا بعزلي في زنزانة منفردة بل انهم وضعوني ايضا تحت الرقابة القصوى .

عندما وصلت ماركريت برفقة جون ، اعطيتهم تفاصيل الخطوات العدوانية التي اتخذت ضدي . اتفقنا ان يكون رد فعلنا سياسيا وقانونيا في الوقت نفسه . علينا القيام بحملة واسعة في البلاد بسبب تعرضي **الاضطهاد العنصري.**

وفي ذلك الوقت ، كان المسؤولون قد انتبهوا الى ضرورة ايجاد اساليب خاصة للقضاء على حملات التمرد قبل اتساعها . ففي ايلول ، قبل شهر من الوقت ، بدأ ـ سجناء التومبز ـ حملة احتجاج واسعة . قررت مساندة الحملة التي ستجري في الخارج من اجلي باعلان الاضراب عن تناول الطعام . لم يكن الاستمرار في الاضراب عن الطعام امرا صعبا .

فبمجرد القائي نظرة واحدة على الطعام الرديء ، كنت اشعر في الحال برغبة الى القيء .

كانت التعليمات الموجهة الى الحارسات عدم السماح لي بتبادل الاحاديث مع بقية السجينات كما اوكلت اليهن مهمة كتابة تقارير بعنوان « نشاطات انجيلا ديفز اليومية » . كانت الحارسات المتعاطفات معي ، يتجاهلن تلك التعليمات بينما كانت الاخريان يطبقنها بكل دقة .

وللاسف ، لا استطيع وصف اولئك الحارسات اللواتي ابدين تعاطفا معي خوفا عليهن . كن مجموعة من النساء السوداوات ، تتفاوت مواقفهن السياسية ما بين الليبرالية او التعاطف مع الاجنحة الثورية لحركة تحرير السود .

وبالرغم من ادراكهن للحدود الضيقة لعملهن الايجابي داخل السجن ، كن يؤدين اعمالا مهمة ومنها نقل الرسائل الشفوية من السجينات الى الخارج ، وكن يجلبن اليهن بعض المواد الممنوعة مثل الامشاط والكتب السياسية الممنوعة في مكتبة المعتقل .

كان شيئا ممتعا بالنسبة لي ان تتولى احدى تلك الحارسات مراقبتي. كنت في خلال تلك الفترات اتمكن من محادثة الاخوات الاخريات . وفي يوم من الايام ، قامت سجينات ممرين قريبين من زنزانتي بتشكيل صف واحد سار من امام بابي وهن يهتفن « اطلقوا سراح انجيلا ديفز ، اطلقوا سراح شقيقتنا انجيلا . » . وكم كان تأثري شديدا لما علمت بان عددا من الاخوات قد اعلن اضرابهن عن الطعام تجاوبا معي . اما بالنسبة لي فان كل ما كان يشجعني على الاستمرار في الحياة هو تناول قدح من العصير في الوجبات اليومية الثلاث ، اضافة الى كميات كبيرة من الماء والتمرينات الرياضية وصحيفة « نيويورك تايمس » التي كانت تصلنا يوميا وزيارات ماركريت وجون .

عندما كنت منعزلة عن الاخريات ، بدأت في تلقي زيارات منتظمة من عدد من الاصدقاء. وفي تلك الفترة كنت قد تعودت اجراءات تلك الزيارات. (وقوف حارسة الى جواري باستمرار) كانت غرفة الزيارة سيئة جدا . اذ كان السجين يقف في غرفة زجاجية صغيرة ، ويقف زائره في غرفة اخرى مماثلة وتدور الاحاديث بينهما بواسطة التلفون الذي كان غالبا ما يصيبه العطب في الجزء الهام من المحادثة .

زارتني يوما كيندرا الكسندر التي اخبرتني بان مظاهرة للاحتجاج

ضد وضعي في زنزانة منفردة على وشك ان تبدأ وانها سوف تنطلق من امام المعتقل .

عدت مسرعة الى زنزانتي . كانت الحارسة المتعاطفة معي قد ادارت لي ظهرها واغلقت عينيها ، لما بدأت اعلن ذلك الخبر بين الاخوات .

كان بامكان سجينات زنزانات الطابقين الخامس والسادس والمطلة على شارع كرين ويج مشاهدة تلك التظاهرة .

كان الحشد مثيرا للحماس . كانت هتافاتهم « الحرية لانجيلا ، الحرية لكافة الاخوات » . وعندما تطلعت الى الاسفل من نافذة زنزانتي ، ازددت حماسا بل فقدت في بعض اللحظات احساسي بالقيود . عادت ذاكرتي الى التظاهرات السابقة « الحرية للاخوة سوليداد » « الحرية لبوبي واريكا » « الحرية لهوي » . «اوقفوا الحرب في فيتنام» ، « اوقفوا عمليات القتل التي يقوم بها الشرطة في مجتمعنا » .

بدأ فرانكلين في القاء كلمته في المتظاهرين . ثم تسلمت شقيقتي فاتيا الميكرفون واعادني صوتها بعنف الى حقيقة وضعي الحالي . بدأت افكر في الجدران التي تفصلني عن رفاقي . وفي تلك اللحظة ، احسست بثقل احساسي كسجينة اكثر من اي وقت اخر . ومع ذلك لم ادع تلك المشاعر تسيطر علي . بدأت في تحويل قنوطي الى رغبة متأججة للقتال .

ومع تصاعد الهتافات من تحت ، بدأت اتذكر جورج ، جون ، فليتا ، وروشيل ماجي . كان تأثير التظاهرة كبيرا علينا ـ نحن السجينات ـ لذلك لم استطع في تلك الليلة النوم .

في اليوم العاشر لاضرابي عن الطعام ، أصدرت المحكمة الفيدرالية قرارا بالعدول عن وضعي في سجن منفرد والعدول عن اجراءات الحراسة المشددة ضدي . وقد اعتبرت ذلك القرار نصرا مهما لا لانه كان يشملني فقط بل لانه كان يشمل ايضا كافة السجناء السياسيين .

كان مقري التالي : الطابق السابع ، الممر (سي) . لم استطع القاء نظرة جيدة على المكان . كانت غرفتي اصغر غرفة في الممر واحتوت على : السرير ، المغسلة والتواليت . وعلمتني الاخوات كيفية عمل مقعد من اوراق الصحف وقطع الثياب القديمة لاستغلال التواليت ككرسي امام المنضدة الحديدية . ضحكت بصوت عال عندما تخيلت نفسي وانا اكتب كل ما اريده على كرسي التواليت .

قبل موعد النوم ، حذرتني احدى الاخوات من جرذ كبير يطلقون عليه اسم « ميكي » قد اعتاد التجوال في غرف السجينات . وبالرغم من

الاجراءات الدفاعية التي اتخذناها فقد كان ميكي قادرا على التسلل الينا . ونضالنا مع ميكي ــ بالرغم من البون الشاسع ــ كان رمزا لنضالنا الاكبر ضد النظام .

في الليلة الاولى ، وعندما اغلقت النساء ابوابهن الحديدية الثقيلة ، واطفئت الانوار في التاسعة مساء ، سمعت صوتا يقول لي بحرارة : « طبت مساء ، انجيلا . » ولانني لم استطع تمييز الاصوات ، فقد رددت دون ان اقصد اختا معينة « طبت مساء » . وكان الجواب عشرات من « طبت مساء » سمعتها لا من ممرنا فقط بل من الممرات الاخرى .

كانت الحياة في السجن تسير بناء على توجيهات عليا وضمن نطاق أسوأ المبادىء البراجماتية . ففي ثلاثة ايام من الاسبوع ، كانت السجينات في مرحلة المحاكمة ــ يذهبن الى المخزن الصغير لشراء بعض الحاجيات البسيطة في ايام الاثنين والاربعاء ، كان يسمح لنا بشراء ما نريده في حدود (٣ دولارات) وفي يوم الجمعة كان يسمح لنا بانفاق دولار اضافي . اما تلك الحاجيات البسيطة فكانت : السجائر ، **ادوات التجميل ، ادوات** الكتابة البسيطة ، طوابع ، ادوات الحياكة والكروشية ، الشيكولاته ، الكيك ، السكر ، القهوة والكاكاو الساخن والحليب ان كانت السجينة حامل .

كان الذهاب الى الكنيسة ، صباح يوم الاحد ، وسيلة اخرى لملء الفراغ . بدافع الفضول ، ذهبت يوما الى الكنيسة الصغيرة . ودهشت لعدد السجينات المتواجدات هناك . وعلمت ان معظمهن كن يحضرن للكنيسة، مثلي تماما ، بدافع الفرجة .

اضافة الى الكنيسة ، كان هناك مكان اخر للتجمع فيه اسبوعيا وهو السينما . لم استطع حتى بدافع الفضول الذي دفعني للذهاب الى الكنيسة مشاهدة فيلم واحد من افلام هوليود المعهودة . ومن غير حاجة للقول ، كانت السينما المكان المفضل للسجينات **الشاذات جنسيا .**

اما المكتبة فكانت لا تحوي غير الكتب الخيالية والرومانسية وعلى قصص ادبية رخيصة . في فترة قصيرة ، تعرفت على كافة كتب المكتبة واخترت عددا قليلا منها . ومن تلك الكتب الجيدة ، كتاب عن الثورة الصينية بقلم ادجار سنو وكتاب ايجابي عن الشيوعية لمؤلف مغمور . **بدات افكر** في مغزى وجود تلك الكتب هنا ، ثم خطر لي خاطر : لقد قرات هذه الكتب وبالتأكيد كل من : اليزابيت فلين ، كلوديا جونز **او غيرهما من** قادة الشيوعية واللاتي اعتقلن في هذا المكان في عهد مكارثي .

كان التقليد المتبع في المعتقل ، انه في حالة رغبتنا في الحصول على كتاب من خارج المكتبة فعلينا طلبه من الموزع مباشرة . قررت طلب اكبر عدد من الكتب لاغناء المكتبة بها ووضعها تحت ايدي السجينات . وقد ظهرت خطتي بوضوح امام السجانين بعد ان وصلتني عشر نسخ من كتاب جورج جاكسون « الاخ سوليداد » واخبروني بلهجة شديدة بعدم سماحهم لمثل تلك الكتب بدخول المكتبة .

وكان للمعتقل تقاليد اخرى ، اوقات قصيرة لاداء التمرينات الرياضية فوق سطح المبنى . وعلى السطح ، توجد غرف لاداء الاعمال الفنية مثل الرقص ولعب الورق . كانت تلك الفعاليات لا تستغل طاقات السجينات الفنية والثقافية او تطويرها بل ان الغاية منها كان تعويدهن على الطاعة والاستسلام .

صممت المعتقلات والسجون من اجل تحطيم انسانية الفرد ولتحويل سكانها الى نوعيات من المخلوقات كالتي تعيش في حدائق الحيوان . وبالمقابل يقوم السجناء باكتشاف طرق مختلفة للدفاع عن النفس . وتكون النتيجة خلق شكلين من اشكال الوجود في كل سجن ومعتقل تقريبا . الشكل الاول يتألف من الاجراءات الروتينية التي تضع اسسها الحكومة ، والشكل الثاني هو ثقافة السجين نفسه وقوانين ومبادىء الخلق التي تخطط من قبل المسؤولين من اجل تحطيم معنوياتهم .

كان للمعتقل تقاليد غريبة . اخبرتني احدى النساء عن الطريقة التي تستطيع بواسطتها السجينة من تكوين عائلة لها في داخل السجن . تعجبت من تلك الطريقة التي نظمت بواسطتها غالبية السجينات لهن عوائل كاملة : امهات ، زوجات ، آباء ، أزواج ، ابناء وبنات ، بل حتى عمات واخوال ، جدود وجدات . كان هذا النظام العائلي لهن بمثابة خط للدفاع امام حقيقة كونهن في السجن مجرد ارقام لا غير . وكان هذا التقليد دافعا الى ادخال الروح الانسانية الى السجن وتعرف الواحدة الى الاخرى ضمن نطاق عائلي . واضافة الى عنصر الخيال فقد كان (النظام العائلي) وسيلة ناجحة فيحل بعض المشاكل السريعة وفيقيام السجينات الصغيرات بمساعدة (آبائهن وامهاتهن) المتقدمات في السن . اما الامر الذي اثار استغرابي في ذلك النظام فهو انتشار الشذوذ الجنسي .

اتذكر الان بمودة ، فتاة شابة في السادسة عشر ذات جمال واضح ، والتي اخبرتني يوما وببساطة شديدة اعتبارها لي والدة لها . كانت هادئة ، جادة وتبدي بعض الاهتمام بحركة تحرر السود . كنت اجد نفسي

ملزمة بشرح اهداف الحركة .

وبما ان معظم السجينات كن مشغولات بهذا التركيب العائلي العجيب، فقد كانت نسبة السحاقيات بينهن مرتفعة وذلك بحكم تواجد النساء مع بعضهن لفترة طويلة . لم اكن مهيأة للصدمة التي تلقيتها لدى مشاهدتي لمظاهر الشذوذ الجنسي . كان في المعتقل ادوار خاصة للنساء واخرى للرجال ، ويطلق على اولئك النسوة لقب (هو) .

كان الزواج من الاجراءات المهمة في نظام العائلة . كانت الزيجات ضخمة بلا شك وتتضمن بطاقات دعوة واحتفالات تقليدية واختيار احدى السجينات لتقوم بدور رجل الكنيسة . وفي ليلة الزفاف ، تكون (العروس) مشغولة في اعداد نفسها وكأنها مقبلة على زفاف حقيقي .

ومع الزواج ، كانت تبدأ عملية اختيار الاماكن المناسبة للاختلاء ببعض والتخطيط من قبل واحدة منهن لاقتناص الاخرى اضافة الى المشاحنات بين بعضهن البعض بسبب عوامل مختلفة ومنها الغيرة . كانت كل هذه الخطوات المرافقة للشذوذ الجنسي تشكل محور حياتي العامة في المعتقل . وربما كانت تلك المظاهر عاملا مخففا لآلام المعتقل ولكنه مع ذلك كان عاملا ايجابيا مساهما في اظهار كافة المساوىء المطروحة حول المعتقل . « فالحياة المسلية » كانت تمنع النساء من انماء نقمتهن على الاحوال السائدة في المبنى وتطويرها الى نقمة سياسية .

كان احد ممرات الطابق الرابع ـ قسم الامراض العقلية ـ مخصصا للنساء الاكثر ادمانا على الهيروين . عندما كنت القي عليهن نظرة وانا في طريقي الى المصعد ، كنت اصعق لمنظرهن . كانت اجسادهن ـ تحمل ندوبا كالجروح وهي من مخلفات الحقن القذرة . وكان المشهد الاكثر ايلاما ، منظر المدمنات الشابات ـ لم تتجاوز بعضهن الرابعة عشر ـ كانت اولئك النسوة يصرخن طوال الليل دون ان يفكر احد ما في مساعدتهن بشيء او استدعاء الطبيب ان كانت حالة احداهن قد وصلت مرحلة الخطورة . وفي بعض الاحيان ، كنا نضطر الى التدخل من اجل ارغامهم على استدعاء الطبيب .

كان اهمال صحة المسجونين ينعكس على الروتين اليومي في المعتقل . وعندما بدأت اعاني من متاعب في عيني (وافق القضاء على قيام طبيب خارجي بفحصي) ، وكنت كثيرا ما اهرب الحليب الذي خصص لي الى الحوامل .

مضت الاسابيع الاولى ببطء شديد . كنت اشعر بانني امضيت زمنا

طويلا في المعتقل . ومع ذلك ، عندما بدأ روتين السجن اليومي يفرض نفسه علي ، بدأت الايام تمر الواحدة بعد الاخرى ، وكان الاختلاف يبدو طفيفا ما بين ثلاثة ايام او ثلاثة اسابيع .

كانت الانوار الشاحبة تضاء في السادسة من صباح كل يوم . الابواب تفتح للافطار . في الثامنة ، الموعد اليومي الاول لغلق الابواب . وتستمر عملية غلق الابواب حتى تنتهي الحارسات من عد كل سجينة مثل قيامهن بعد ادوات الطعام . يأتي بعد ذلك وقت التنظيف ، جولة الطبيب ، موعد الطعام ثم زيارة المخزن يوم الاثنين ، الاربعاء والجمعة . ثم الغذاء وعملية العد من جديد . ثم اغلاق الابواب في الثالثة بعد الظهر . واعتمادا على ايام الاسبوع ، كانت الظهيرة مخصصة للتمارين على السطح ، المكتبة او احيانا مشاهدة فيلم ما . يأتي بعد ذلك موعد العشاء ، عملية العد ، موعد الزيارات ، اغلاق الابواب في الثامنة بعد الظهر . المناداة على كل واحدة منا باسمها . واخيرا اطفاء الانوار في التاسعة ليلا .

كنت محظوظة بزيارة ماركريت الشبه يومية لي . كان جون يزورني قدر استطاعته . وتلقيت زيارات مستمرة من المحامين الآخرين ومنهم : هايوود بورغز ، رئيس المؤتمر العام للمحامين السود مع عضوين آخرين . كنا نناقش في تلك الزيارات تطور قضايا السجن وتطور قضيتي . كانت كلا من ماركريت وجون قد اتفقا على طلب اعادة النظر في أمر اعادتي الى كاليفورنيا .

تقدر فترة الزيارة في المعتقل بحوالي الـ ٢٠ دقيقة ، لكنها مع ذلك كانت تنجح في كسر رتابة الحياة المفروضة علينا . كنت اتلقى باستمرار زيارات من كل من شقيقتي فانيا ، فرانكلين وكيندرا ، بيتينا آبثيكير وغيرهم من الرفاق . كنت دوما اتطلع الى زيارات شارلين ميتشيل ، صديقة مقربة وعضو اللجنة السياسية (الهيئة القيادية) للحزب الشيوعي . كانت شارلين في عام ١٩٦٨ ، مرشحة حزبنا للرئاسة . وطوال الاعوام الماضية ، علمتني صداقتي لها معنى ان يكون المرء شيوعيا وكان لها تأثير كبير في انضمامي للحزب .

في احدى الامسيات، تلقيت زيارة مثيرة من قبل هنري وينستون، رئيس الحزب الشيوعي . كان (ويني) من مواليد الميسيسبي ، ولكونه شيوعيا وأسودا في آن واحد ، كان هدفا مهما من اهداف الحركة المعادية للشيوعية في الاربعينات والخمسينات . وطوال العشرة ايام التي امضاها في السجن وبسبب الاهمال المتواصل لعلاج ورم في دماغه ، خرج ويني من السجن

وقد اصيب بالعمى التام . كانت المرة الاولى التي اشاهد فيها (ويني) شخصيا . ومن الجانب الاخر من الزجاج القذر ، أومأ لي بالتحية بصوت هادىء . سألني عن صحتي ، عن طعام السجن ، كيفية معاملتهم لي . واكد لي ان الحزب مصمم على النضال من اجل حريتي وانه هو شخصيا سيعمل ما في وسعه لتأكيد انتصاري .

كنت افكر في عائلتي طوال الوقت وبالرغم من شوقي الى والدتي فقد طلبت من ماركريت عدم تشجيعها للمجيء لزيارتي .

قررت والدتي زيارتي بالرغم من كل شيء . وعندما اعلمتنا بموعد قدومها الى نيويورك ، اجهدت ماركريت نفسها اياما متواصلة من اجل الاعداد « لزيارة خاصة » في مكتبة الضمان العمالي .

علمتني التجارب الشك في كل شيء . ولم اصدق سماحهم بمجيء والدتي حتى اللحظة الاخيرة التي رأيتها فيها فعلا . وعندما وضعت ذراعيها حولي ، كان بامكاني ملاحظة توتر جسدها بأكمله . ومن اجلها ، حاولت ان ابدو سعيدة مرحة . كنت في محاولة لاخفاء هزالي الشديد ، قد ارتديت اوسع ثياب السجن الاربعة . ففي خلال اضرابي عن الطعام ، فقدت ١٥ باونا من وزني .

تحدثت مع والدتي عن شؤون العائلة ، والدي ، بيني الذي انجبت زوجته طفلا ، عن فانيا التي كانت في الاشهر الاولى لحملها . كنت واثقة ان والدتي في خلال تلك الاحاديث ، كانت تفكر في غرفة الغاز في كاليفورنيا .

كان شيئا طيبا ذلك الذي قامت به لجنة نيويورك للدفاع عن انجيلا ديفز ، بتنظيمها لبعض المناسبات ودعوة والدتي للاشتراك فيها . كنت اشعر بان رؤيتها لعدد كبير من الناس المهتمين بمصير ابنتها سيسعدها حقا .

واضافة الى هذه الزيارات ، استقبلت عددا كبيرا من « زوار الشارع » . فقد كان الاصدقاء يهتفون لي عبر نوافذ السجن المطلة على الشارع بالرغم من معارضة رجال الشرطة لهم .

منذ ان بدأت الاستقرار في القسم الرئيسي للمعتقل ، بدأت افكاري تتوجه ، بشكل طبيعي نحو احتمال القيام **بنشاط سياسي جماعي في المعتقل** . وكانت نصف نزيلاته من اللواتي لم تكن الاحكام بحقهن قد صدرت بعد . ويعود ذلك الى ان نظام اطلاق السراح بكفالة كان قد اوجد لصالح الاغنياء القادرين على الدفع . اما الفقراء فكان المعتقل نصيبهم

الاوحد . ولذا اصبحت القضية السياسية التي يجب اثارتها هي كيفية الحصول على المساواة التامة بين السجناء اعتمادا على الفكرة القائلة باعتبار المتهم بريئا حتى تثبت ادانته .

في الطابق السابع من السجن وبعد مضي ايام قليلة على وجودي ، بدأت الاخوات في ابداء رغبتهن التلقائية للتحدث عن الحركة . تحدثنا عن العنصرية كسلاح استغله الاغنياء لزيادة ثرواتهم . تحدثنا عن العنصرية التي تحدث ارباكا في حياة العامل الابيض الذي ينسى في الكثير من الاحيان حقيقة كونه مستغلا من قبل سيده في العمل ، ليصب جام غضبه على الناس الملونين ، وتحدثنا عن الشيوعية ، وباتت الاخوات متشوقات جدا للاستماع الى **تجربتي في كوبا عام ١٩٦٩ ـ وهي الرحلة التي برهنت لي كيف يمكن بالاشتراكية القضاء على العنصرية .**

في احدى الامسيات ، بعد موعد اغلاق الابواب ، كسر الصمت سؤال بصوت عال . كانت احدى الاخوات تقرأ في كتاب استعارته مني .

« انجيلا ، **ماذا تعني الامبريالية ؟** » .

قلت « تعني سيطرة الطبقة الحاكمة في بلد ما على شعب بلد آخر من اجل سرقة اراضيهم ومصادر طاقاتهم ، واستغلال عملهم ايضا » .

وصاح صوت آخر ، « تعنين بذلك ، معاملة شعوب البلدان الاخرى مثل معاملة السود هنا » .

اثار السؤال نقاشا حادا فيما بيننا جميعا واستمر وقتا طويلا .

كان الطلب على قراءة كتاب جورج في تزايد مستمر . استطاعت بعض الحارسات تهريب عدد من نسخ الكتاب الينا . وعندما كتبت لجورج عن مدى حماس السجينات لكتابه ، كان سعيدا جدا بالامر . ولكنه كان خائفا لئلا تسيء السجينات ادراك ما كان يرمي اليه لما قال في كتابه ، ان النساء السوداوات كن سلبيات تجاه اشتراك الرجل الاسود في النضال، لانه اكتشف فيما بعد عدم صحة ذلك الرأي .

ومع مرور الاسابيع ، بدأ القلق يعم السجانين بسبب تضامننا نحن السجينات . اتخذت اجراءات مشددة . أصدرت الاوامر الى السجينة ـ هاريت ـ بعدم الاتصال بي وكانت غالبا ما تنقل لي الطائرات الورقية (رسائل نتبادلها فيما بيننا ، عبارة عن اوراق ملفوفة بعناية) .

كنت راغبة في تقوية علاقاتي مع الاخوات . كنا نتجمع معا لاداء التمرينات الرياضية ، بدأت اعلمهن بعض حركات الكاراتيه التي كنت أعرفها .

عندما اوشك بقائي في المعتقل على الانتهاء، بدأت مجموعة من المنظمات النسائية في نيويورك بجمع التبرعات من اجل كفالة النساء المعتقلات . اتخذنا قرارا في داخل السجن يقضي بانتخاب امرأة من كل ممر تكون مسؤولة عن تلك التبرعات وعندما تدفع كفالتها وتتحرر ، عليها مواصلة عملها في الخارج من اجل جمع التبرعات .

٢١ كانون الاول ١٩٧٠

في ظهيرة احد بارد ، سارت تظاهرة كبرى في شارع كرين ويج بقيادة تحالف عدد من المنظمات تحت شعار « الحرية لانجيلا ديفز » . كانت التظاهرة مثيرة جدا ، الى درجة دفعتنا الى التفكير في طريقة مماثلة لعرض قوتنا . تجمعنا في الممرات ، اخترنا شعاراتنا واتفقنا على ترديدها في صوت واحد .

دوت الهتافات في الخارج : « واحد ، اثنين ، ثلاثة ، اربعة . المعتقل (سي) يجب ان يختفي . » ، « الحرية لشقيقاتنا ، الحرية لانفسنا » وغيرها من الهتافات السياسية . بعد فترة وجيزة قررنا اختبار هتافاتنا . كان أمر ايصال اصواتنا الى المتظاهرين عبر النوافذ ، أسهل بكثير من ايصالها الى بعضنا الآخر . « الحرية للاخوة سوليداد » « الحرية لاريكا » « يعيش جوناثان جاكسون » . وعندما كانت هتافات « الحرية لانجيلا » تصل الينا ، خشيت ان تعمل على عزلي عن بقية الشقيقات. بدأت ، وباعلى صوتي ، في الاعلان عن اسماء كافة الزميلات .

هرع السجانون الينا ، طالبين منا التزام الهدوء . لكننا ازددنا ثورة وحماسا .

بعد انتهاء التظاهرة كان الطابق يفور بالحماس . كنا فخورين بالخطوة التي اتخذناها في تحدي بيروقراطية ادارة السجن . وفي ذلك الجو المليء بالحماس والانتصار ، تلقينا ضربة قاسية وهي اكتشافنا موافقة المحكمة العليا في واشنطن على اعادة النظر في أمر نقلي الى كاليفورنيا .

وفي تلك الليلة ، عندما اغلقت الابواب علينا ، كانت النساء ما يزلن مشبعات بسحر التظاهرة . بدأن في عتمة الليل يرددن : « واحد . اثنين . ثلاثة اربعة . لن ندع انجيلا تذهب . » . « خمسة . ستة سبعة . ثمانية . لن ندعهم يعبرون الابواب ! كن يصرخن بصوت عال وهن يضربن باحذيتهن قضبان الزنزانات .

بعد مرور بضعة ساعات ، بدأت الانفعالات في الخفوت . عم الصمت الطابق . بينما كنت مستغرقة في النوم ، ايقظتني احدى المشرفات لتقول ان المحامي يريد التحدث معي . كانت الساعة تشير الى الثالثة صباحا . في غرفة الاستقبال ، رأيت عددا من رجال الشرطة في ثياب مدنية ثم طلبت مني المشرفة التهيؤ لتفتيشي عارية . رفضت بشدة ، قاومت بشدة، وعلمت اخيرا ان تفتيشي سيتم حتى لو تطلب الامر استعمال القوة معي . قيد رجلان يدي الى الخلف . جابت الي ملابس الخروج . كان البرد شديدا في الخارج . الى اين سينقلونني ؟ هل انا في طريقي الى المطار ام الى محطة القطار . سرت برفقة الحراس الى باحة المعتقل . شعرت بالحزن لمفارقتي الصديقات . ماذا سيكون مصيرهن ومصير لجنة جمع التبرعات. ومن خلال ستائر نوافذ السيارة الكثيفة لم استطع رؤية اي شيء في الخارج . فجأة سمعت عاصفة من الهتافات المؤيدة لي . لم استطع ان اعرف كيف تمكن هؤلاء الناس من معرفة موعد اخراجي من المعتقل وفي مثل تلك الساعة من الليل .

لم أر ضوءا واحدا ينير باحة سجن التومبز . كان الصمت مخيما علينا . نزعت نيويورك اغلالها عني لتتسلمني كاليفورنيا باصفادها وقيودها. سلمت نيويورك وثائقها الخاصة بي . دققت كاليفورنيا في تلك الاوراق قبل استلامها . بعد ان تمت العملية ، اتجهت نيويورك بهدوء الى سيارتها، وتوجهت كاليفورنيا الى سيارتها .

كان البرد شديدا في الخارج ، والسيارة تسير بسرعة فائقة . الى اين ؟ عندما سألت احدهم قال بهدوء وبتردد نحو قاعدة ماكواير الجوية في نيو جيرسي » اذن ، فقد بدأ الجيش يتدخل في قضيتي .

عندما اقتربنا من الطائرة ، رأيت عددا كبيرا من الحراس قد اصطفوا على شكل رقم (٧) حول مدخلها . كانوا يحملون المسدسات والرشاشات والبنادق . ما الذي سيحدث او انهم قتلوني في الحال ؟

في خلال الرحلة الجوية ، كانت الحارسة لا تغفل عن مراقبتي لحظة واحدة ، بل انها كانت ترافقني الى التواليت . سألتها مرة : « هل تظنين انني سأقذف بنفسي من فتحة التواليت الى الفضاء الخارجي ؟ » .

في الطائرة ، عاودت تفكيري في الحركة ، هل سأكون احدى ضحايا النظام . منظر سان كوينتين المخيف سرعان ما بدد مخاوفي . تذكرت آرون هنري ، آخر ضحايا غرفة الموت بالغاز . في يوم تنفيذ الحكم فيه ، توسلت والدته لمقابلة الحاكم . رفض رونالد ريجان (الحاكم) منحها فرصة

تلك المقابلة . وفكرت في امور كثيرة اخرى .

استغرقت الرحلة من احد طرفي البلاد الى طرفها الاخر اثنا عشر ساعة . وفي تلك الساعات تجولت افكاري في الماضي والحاضر . تذكرت والدتي . لقد مضى زمن طويل منذ ان كنا فيه معا في بيتنا ، نشعر بالاطمئنان والامان .

هل ستعود ، يا ترى ، تلك الايام ؟

اني امتلك بيتاً في تلك الصخرة
ألا ترى ؟

الفصل الثاني

صخور

لم يكن منزلنا الابيض الكبير على التل يبعد كثيرا عن بيتنا القديم في الشارع الثامن . كنا قد انتقلنا الى الشارع الثامن عام ١٩٤٨ حيث عشنا في منزل خشبي كبير . وبسبب وجود غابة كثيفة من خلفه كانوا يقولون عنه انه منزل مسكون .

في الرابعة من عمري ، ادركت ان الناس الذين يعيشون في الطرف الآخر من الشارع يختلفون عنا ولم ادرك ان السبب في ذلك هو لون البشرة. كان الشيء الذي يميزهم عنا هو تكشيرة وجوههم الدائمة ، نظراتهم المملوءة كراهية الينا ، ورفضهم الرد على تحيتنا لهم بـ « مساء الخير » .

عندما انتقلنا الى المنزل الكبير ، قرر البيض وضع حدود للفصل بينهم وبيننا . اصبح الشارع الرئيسي خط الحدود بيننا وقالوا لنا :

« ان تجراتم وعبرتم الى الحي الشرقي فان الحرب ستعلن وتشتد . » ومن اجل ذلك كنا نخفي الاسلحة في منازلنا .

في هذا الجو المليء بالكراهية ، كنت اعيش حياتي اليومية . والدتي، بعد ان اخذت اجازة من المدرسة التي تعمل فيها ، انصرفت لتربية اخوتي الصغار . اما والدي ، فكان يقوم بعمله اليومي وهو قيادة سيارة من نوع (فان) مليئة بالبرتقال ، يذهب بها الى السوق بعد ايصالي الى دار الحضانة .

كانت امسية من امسيات ربيع ١٩٤٩ ، عندما سمعت صوت انفجار كبير . استمر حديث الرجال والنسوة في تلك الليلة عن الموت ، الحقد ، الناس ذوي البشرة البيضاء ، اناس اخرون يموتون ، ومع ذلك يستمر السود في الانتقال الى الحي الاخر دون خوف . كانت الانفجارات التي تهز منازلنا جواب البيض على تلك الخطوات . وسرعان ما عرفت المنطقة باسم « تل الديناميت » .

كلما ازداد محيطنا عنفا ، ازداد والداي اصرارا على القول امامي (انا ، ابنتهم الاولى) ان معركة البيض ضد السود لا يمكن اعتبارها جزءا من طبيعة الاشياء . كانت والدتي تحاول تهدئة غضبي تجاه البيض بحكمتها وادراكها الواسع . لقد اشتركت والدتي في خلال مرحلة الدراسة الجامعية في الحركات المناوئة للعنصرية . وكانت تقول انها قد تعلمت من تلك التجربة ان بامكان الابيض الوقوف مع الاسود والمطالبة معا بحقوق السود. حاولت والدتي مرارا ان تدفعني الى نسيان تلك المسدسات الموجودة في الادراج ، نسيان النساء السود الباكيات ، وحدثتني عن مستقبل يتساوى فيه جميع المواطنين .

عندما انتقل الى التل عدد مناسب من العوائل السوداء ، اصبح لي عدد من الاصدقاء والصديقات . بدأنا في تلك المرحلة تقوية اسلوب دفاعنا الوحيد وهو « الكلمات » . وفي محاولة للدفاع عن كرامتنا ، كنا نحن الصغار نقف في الطريق في انتظار مرور سيارة الناس البيض كي نشتمهم بأسوأ الكلمات ونضحك بعد ذلك بشكل هيستيري .

كان طعامنا في تلك الفترة جيدا . لم اكن ادرك آنذاك ، بان الطعام كان احد الامتيازات القليلة التي كانت متوفرة لعائلتنا. عندما كنت صغيرة، لم اكن افرق بين العمل في المزرعة وبين اللعب ، لان العمل كان بسيطا بالنسبة لي ، كما انني لم اكن مرغمة عليه طوال الوقت . كانت لنا (للعائلة) مزرعة صغيرة في مارينكو تاون حيث تعيش جدتي وعائلة خالي في كابينة

خشبية قديمة ، تهددها الرياح دائما . كنا نذهب الى تلك المزرعة ، نساعد في بعض الاعمال البسيطة .

عندما اقتربت من سن الثانية عشر ، توفيت جدتي ـ لامي ـ وكانت وفاتها صدمة قاسية لي . فقد كانت دائما بالنسبة لي رمزا للقوة ، للعمر ، للحكمة والمعاناة .

كنا قد تعلمنا ماذا تعني كلمة العبودية . كانت قد ولدت بعد اعوام قليلة من الغاء الرق .. كان والداها عبدين . وكانت لا تريدنا ان ننسى ذلك ابـــدا .

حتى ذلك الوقت ، لم اكن قد تقبلت الفكرة المطاقة للموت . كنت اؤمن بفكرة وجود حياة بعد الموت . لذلك في غمرة بكاءنا عند دفنها ، كنت اقول بانها ستنضم الى قافلة شهداء الحركة السوداء وانها تتطلع من الحياة الاخرى الى ارضنا بسلام .

بعد دفنها ، بدات اتطلع الى ارضنا بنظرة اخرى : انهـــا مسرح التطورات التاريخية لشعبي .

في اشهر الصيف ، امضيت بضعة اشهر في ضيافة عائلة ماركريت في نيويورك . امضيت فترة حافلة في زيارة حدائق الحيوان ، الحدائق العامة ، الشواطىء ، تجولت في اماكن كثيرة لم اكن احلم بالدخول اليها ، وانا السوداء ، في بلدتي .

فمن مظاهر التمييز العنصري التي كنت اواجهها في برمنجهام ، وجود عدد من الحدائق المخصصة للاطفال البيض فقط ، اضافة الى وجود دور سينما خاصة باطفال البيض . وفي جولاتنا في المدينة ، ان شعرنا بالجوع مثلا ، كان علينا العودة الى الاحياء المخصصة للسود لشراء الطعام . وبسبب تلك المظاهر كنت اتمنى العودة الى نيويورك والتي وجدتها ـ في تلـــك المرحلة ـ عالما يجمع بين البيض والسود بشكل اقل عنفا وقسوة مما هـــو الامر في الجنوب . وفي زياراتي التالية لنيويورك ، تغيرت تلك الصورة .

بدات اعلم بان السود في نيويورك لا يتمكنون من استئجار بيوتا لهم في بعض المناطق السكنية . وعلمت ايضا ان نيويورك ليست المدينة التي توجد عدالة انسانية فيها .

في تلك الفترة ، وانا في الثانية من عمري ، كانت قضية مكارثي فـي قمتها . وبسبب صغر سني ، لم استطع ادراك ما كان يدور من حولنـا . كنت اعلم بان رجال الشرطة يبحثون عن والد صديقتي هارينا ، لانه كـان اسودا وكان شيوعيا . وتشكلت صورة واحدة في ذهني : رجال بيض

يحاولون القاء القبض على رجل اسود بريء . ولم يحدث ذلك الامر في الجنوب حيث التفرقة العنصرية على اشدها ، بل في نيويورك .

ومثل نيويورك ، كانت كاليفورنيا . وفي طفولتي ، سمعت قصصا عديدة عن الفرص الذهبية المفتوحة امام السود للعمل في الساحل الغربي. ومن اجل ذلك هاجر عدد كبير منهم الى الغرب . كان بعض اقاربنا قد توفرت لهم فرصا جيدة للعمل . ومن ناحية اخرى ، كان عدد كبير منهم يعيش في ضائقة مالية وفي فقر مدقع ، وكانت احوالهم المادية السيئة لا تتيح لهم في بعض الاحيان ، الحصول على وجبة طعام واحدة في اليوم .

بسبب تلك الاشياء جميعا ، كنا مرغمين ، نحن الصغار ، على اتخاذ مواقف عدائية تجاه عالم البيض . لقد كانوا سببا رئيسيا لحرماننا من الاشياء التي نتمناها ، وكنا ايضا نشعر بالغيرة منهم ونحن نراقبهم يدخلون كافة الاماكن المسلية التي يحرم علينا دخولها . ومع مرور الايام لم استطع منع نفسي من ان انظر اليهم في حسد . ومع كل تلك الاحاسيس كنت قد اتخذت قرارا بيني وبين نفسي ـ بالا اسمح لنفسي ابدا بالرغبة في ان اكون فتاة بيضاء . وبالرغم من ذلك القرار ، كنت اتمنى ان امارس شيئا من تلك الاشياء المحرمة علينا . ومن اجل التوفيق ما بين احلامي ومبادئي، كنت اتخيل نفسي فتاة بيضاء ، وتطوف بي الاحلام في المسارح ، دور السينما والحدائق . ثم اكتشف فجأة زيف تلك الاحلام .

في فترة المراهقة ، تذكرت تلك الاحلام ، وقررت تحويلها الى حقيقة ملموسة . كنت وشقيقتي فانيا ، نسير يوما في بيرمنجهام عندما خطرت لي فكرة مفاجئة : سنتظاهر بكوننا من الاجانب ، نتحدث بالفرنسية ثم نتوجه الى مخزن للاحذية . ومشهد ، فتاتين تتحدثان الفرنسية جعل موظفي المخزن يهرعون لمساعدتنا . وبدلا من توجيهنا نحو مؤخرة المخزن حيث يجلس السود اعتياديا ، دعينا بكل احترام الى الجلوس على مقاعد القسم الامامي من المخزن . ادعيت عدم معرفتي للانكليزية . بدأت فانيا تتحدث بلغة انكليزية ركيكة . وازداد حماس الموظفين لنا ، طلبوا استدعاء المدير الذي سيكون قادرا على تفهم طلباتنا بشكل افضل . كان منظر المدير مسليا. قال وابتسامة عملاقة تطغي على ملامحه: «والان ماذا استطيع ان افعله لكن ايتها السيدات الصغيرات الحلوات ؟ » ثم سألنا عن بلادنا والغاية التي جئنا من اجلها الى الولايات المتحدة والى بيرمنجهام بالذات . وقد تطلب الجواب من شقيقتي جهدا كبيرا . وبعد محاولات عديدة ، علم المدير اننا قدمنا من جزر المارتينيك في جولة سياحية للبلاد .

قال وعيناه تبرقان : « اوه ، من الامور النادرة ان نلتقي بامثالكن » . اما الزبائن البيض، فقد دهشوا لوجود فتاتين سوداوتين في القسم الخاص بالبيض ، لكنهم عندما سمعوا فرنسيتنا ، ابدوا اهتماما شديدا بنا واعربوا عن رغبتهم في التعرف الينا . واخيرا وعندما طالت اللعبة ، قررت انهاءها. نظرنا الى وجه المدير الغبي وانفجرنا في الضحك .

قال بخشية : « هل هناك ما يضحك ؟ » .

فجأة تحدثت معه بالانكليزية واخبرته بحقيقة الامر : « كل ما على السود ان يفعلوا كي يلاقوا الاحترام هو التظاهر بكونهم من الاجانب » .

نهضنا عن مقاعدنا ، غادرنا المكان ونحن ما نزال نضحك .

في ايلول ١٩٤٩ ، كانت فانيا قد بلغت عاما واحدا من عمرها وكنت انتقلت الى المدرسة الابتدائية . في اليوم الاول لبدء العام الدراسي ، كنت شديدة الحماس للذهاب اليها . كانت مدرسة « تاجل » تتألف من مجموعة من البيوت الخشبية الصغيرة المتهالكة لقدمها . كانت والدتي (مدرسة في مدرسة متوسطة) قد علمتني قبل ذلك الوقت القراءة والكتابة وبعض المسائل الحسابية . كنت اهتم في الدرجة الاولى بتعلم اشياء لن استطع تعلمها في المدرسة . منها مثلا حق الانسان في الحصول على طعام يسد جوعه ، كساء يرد البرد عنه وحق المريض في الحصول على الدواء . كنت اتألم جدا لمنظر بعض اصدقائي وهم يراقبون الاطفال الآخرين يتناولون ما لديهم من طعام في حقائبهم المدرسية .

فتحت تلك المشاهد بصيرتي للمرة الاولى على التفاوت الطبقي بين ابناء مجتمعنا . كنا من فئة الدخل المحدود . وكنت اتصور ان جميع الناس يعيشون مثلنا : (نتناول يوميا ثلاث وجبات للطعام ، احصل دائما على ملابس جديدة للصيف وللشتاء. فساتين اعتيادية واخرى لايام الآحاد. واحذية جديدة باستمرار) .

كان دخل الاسرة يتكون من عمل كلا من والدي . قبل ولادتي ، تمكن والدي من الحصول على عمله كمدرس لمادة التاريخ في مدرسة ثانوية بعد حصوله على درجة ممتازة عند تخرجه من جامعة سان اوغستين . ومع ذلك ، كانت الحياة جد صعبة في تلك المرحلة . وبحكمة تمكن والدي من جمع مبلغ من المال لشراء محطة لغسل وتشحيم السيارات ، واضافة الى ذلك ، تمكنت والدتي ، بعد انهاء دراستها الجامعية ، من الحصول على وظيفة للتدريس في بيرمنجهام ايضا . وتمكن والدي حينها ، من شراء المنزل فوق التل .

كنت في تلك المرحلة ، أعتقد ان الفقر هو عقاب الكسالى والمهملين وان والداي تعبا كثيرا من اجل توفير وسائل العيش لنا . واحساسي بالفقر لم يكن ليظهر بذلك العمق لولا مقارنة احوالنا بحالة البيض . فمن قمة التل الذي كانت مدرستنا تقع فيه ، كنا نشاهد مدرسة للاطفال البيض : بناية جميلة حمراء ، تحيط بها حدائق خضراء واسعة . اما نحن فكنا نعاني البرد شتاء ، والمطر يتساقط علينا باستمرار . واضافة الى ذلك كنا نعاني باستمرار في الحصول على الكتب المدرسية والتي غالبا ما كانت تبعث الينا وهي ممزقة ورثة .

كانت الهيئةالمشرفة على ادارة مدارس السود تتألف من البيض فقط. اما هيئة التدريس فكانت من السود . ولهذا السبب ، كنا نحن السود ، نتعلم تاريخنا بشكل ايجابي . كنا نتعلم اناشيد السود وينتابنا العجب الكلمات التي تتضمنها « الاناشيد الرسمية » .

ومن خلال دراستنا لجورج واشنطن ، توماس جيفرسون ، ابراهام لنكولن ، كنا نتعرف على الشخصيات السوداء ايضا ومنهم : فردريك دوجلاس ، سنورنر تروث وهاريت توبمان .

كانت المدرسة تنظم لنا سنويا اسبوعا تحت شعار « تأريخ السود » كنا نستعد لذلك الاسبوع بقراءة تأريخ السود وسيرة الشخصيات البارزة فيه .

الظروف التي كنا نعيش في ظلها في بيرمنجهام ، ارغمتني على الانضمام الى جامعة للسود فقط . كنا دائما محصورين ضمن مجالنا فقط، ولا يسمح لنا بالتطلع الى غيره . عندما كانت المعلمات يرددن على اسماعنا عبارات عن اهمية العمل للتغلب على الصعوبات في الحياة ، كنت اشك في صحة تلك العبارات . هل يعني عدم حصول غالبية السود على فرص جيدة للحياة انهم كسالى واغبياء ؟

عندما كنت دون العاشرة من عمري ، كان الصغار قد تعلموا مناداة ، واحدهم الآخر بعبارات مثل « زنجي ـ نيكرو » او « الافريقي » وكانت تعني « المتوحش » . منعتنا والدتي من ترديد تلك الكلمات . اما انا ، فكانت كلمة « الزنجي » لا تضايقني بقدر ما كان يضايقني قول احدى صديقاتي « هل لانك تمتلكين شعرا جميلا وبشرة فاتحة السواد ، تتصورين نفسك قد اصبحت بيضاء ؟ » .

في بعض الاحيان ، كنت الوم والداي سرا لانهما قد منحاني بشرة فاتحة بدلا من السوداء وشعرا متموجا بدلا من الشعر المجعد كشعر

صديقاتي . كنت اقاوم محاولات والدتي لتمشيط شعري بالفازلين لتجعله أكثر استقامة أو تسريحه في ظفيرتين متدليتين على ظهري باستمرار أو تجعيده على شكل تسريحة شيرلي ثيمبل .

كانت في بيرمنجهام، مكتبة عامة مخصصة كلها للبيض فيما عدا غرفة منزوية فيها مخصصة للسود تشرف عليها امراة سوداء . وقد شجعني والداي على الاستمرار في القراءة . ووضعت بمساعدة والدتي برنامجا خاصا لقراءة عدد من الكتب اسبوعيا .

وعندما انشأت المكتبة الجديدة للسود بالقرب من التل ، اصبح ذلك المكان مفضلا لدي . قرأت هناك كل شيء من هيدي الى هوجو والى روايات فرانك يربي . كانت متعتي في القراءة تفوق المتعة التي كنت احصل عليها **من خلال دروس البيانو والرقص الاسبوعية . وفي عيد ميلادي** الخامس عشر ، تمكن والدي من شراء بيانو كبير لي .

لم نكن ، انا وزميلاتي ، جد راغبات في مواصلة الدراسة الاعدادية في مدرسة (باركر انيكس) . كانت المدرسة وأثاثها قد تآكلت من الداخل والخارج الى درجة كبيرة .

كنت في تلك المرحلة أفضل دروس علم الاحياء ، الكيمياء والرياضيات . شعرت بالكراهية لمادة التاريخ بسبب المغالطات في كتبه . **فالحرب الاهلية كانت تسمى « الحرب من اجل استقلال الجنوب » وأن السود كانوا يفضلون العبودية على الحرية .**

في ذلك الوقت ، كانت حركة السود للحقوق المدنية قد بدأت تفيق من سباتها الطويل . بدأ مارتن لوثركينغ في تطبيق حملته الداعية الى وجوب مقاطعة السود للباصات التي كانت تخصص مقاعدها الخلفية فقط لنا . وفي ذلك الوقت بدأت السلطات في شن حملة عنيفة لاعتقال السود .

وفي يوم من ايام ١٩٦٥ ، قرر البيض بتشجيع من مدير الشرطة **القضاء على حركة مقاطعة الباصات بالقوة. جمعوا من اجل تلك الغاية اسلحتهم** وقطع الديناميت وهاجموا منزل الاب شوتلز وورث (أحد قادة حركة الاباما المسيحية للحقوق الانسانية) . وبالرغم من نسف المنزل بأكمله فقد استطاع الاب النجاة بمعجزة .

كنت متحمسة لتلك الاشياء التي قد تغير مستقبلنا ومع ذلك لم **اشترك فيها بصورة فعلية نظرا لصغر سني (١٢ سنة) . وبمرور الايام** واتساع نطاق الحركة ، اصبح اشتراك كل رجل وامراة وكل

طفل فيها امرا ضروريا جدا .

عندما بلغت الخامسة عشر ، كان قد أصبح لزاما علي الاشتراك في النشاطات الاجتماعية للسود . كنت اكره تلك النشاطات وما تتضمنه من حفلات للرقص . اتخذت قرارا بالهرب منها واكمال دراستي العليا في نيويورك .

كانت في بيرمنجهام لجنة لمساعدة الاصدقاء الاميركيين والتي كان الطلاب السود يحصلون بواسطتها على زمالات دراسية في نيويورك . بدات احلم بنيويورك وبعالم ثقافي جديد . قدمت طلبات للدراسة في مدرستين فينيويورك ، وحصلت على الموافقة من كلتا المدرستين. وبالرغم من مخاوف والداي في ارسالي الى المدينة الكبيرة فقد استطعت اقناعهما بمقدرتي على مواجهة كافة الظروف والدفاع عن نفسي ضد مخاطر مدينة نيويورك .

نحو الافضل او نحو الاسوأ ، لم ادر ، لم استطع معرفة ذلك وانا في القطار المتوجه نحو نيويورك ، ومن حولي عدد من الاصدقاء والمعارف . عندما بدأ القطار يسير عبر الاباما ، جورجيا ثم واشنطن ، غادر اولئك الاصدقاء القطار . وفي كل محطة كان القطار يتوقف فيها ، كنت افتقد تدريجيا المناظر الطبيعية المألوفة بالنسبة لي . عندما وصل القطار مدينة واشنطن ، اصبحت فجأة ، محاطة بالغرباء وغربة الناس البيض .

كنت اتطلع بخوف وشوق الى المستقبل . فكرة العيش مع عائلة بيضاء لمدة سنتين (حسب شروط الزمالة) كانت من الامور التي اثارت مشاعر القلق لدي . وبالرغم من معرفتي من ان تلك العائلة تؤيد في مواقفها حقوق السود ، فان فكرة قبولي في مجتمع ابيض ، كان يتطلب مني مجهودا كبيرا .

كنت وكانني قد اصبحت شخصين في آن واحد وجها راس جانوس . مرة اتطلع الى الماضي ـ القسوة ، الخوف وحبي لعائلتي ـ ثم اتطلع الى المستقبل ـ مستقبل متوهج بالتحديات وقد يحمل لي بين طياته الفشل .

في محطة بنسلفانيا ، وجدت في انتظاري الاب ميليش وزوجته. منذ اللحظة الاولى ، شعرت بالاحترام لهما . كان الاب ميليش ، في قمة مرحلة مكارثي ، قد نصب نفسه مدافعا عن الضحايا العديدين . واضافة الى ذلك ، كان عضوا في جمعية الصداقة الامريكية ـ السوفييتية . وفي تلك الفترة لم يكن مكارثي أو جماعته يفرقون ما بين الدفاع عن حق المواطن في ان يكون شيوعيا وبين الشيوعية نفسها .

كان لعائلة ميليش اولاد ثلاثة : اثنان اكبر مني سنا وآخر اصغر مني. وشعرت براحة كبرى لما عرفت أن ولديهما الكبيرين يدرسان في جامعة اليزابيث ايروين ايضا .

كان منزل الاب ميليش يقع في قلب مجتمع بروكلين الاسود. تطلب مني زمنا ادراك ان السود بدورهم قد تأثروا بشخصية نيويورك .

كانت مدرسة اليزابيث ايروين العليا في كرين ويج ، عبارة عن بناية صغيرة وسط مجموعة من البنايات . وكانت المدرسة، منذ عقود من الزمن، مدرسة تجريبية لاسلوب متقدم في التعليم ، يدفع طلابها مبالغ معينة من اجل الانتماء اليها . واضافة الى المدرسة العليا ، كانت هناك مدرسة ابتدائية واخرى لرياض الاطفال . وعلمت من الاب ميليش ان مدرسي اليزابيث ايرفن ، قد وضعوا في القائمة السوداء من قبل هيئة تعليم مدينة نيويورك بسبب مواقفهم التي تتفاوت ما بين الليبرالية والراديكالية مع الميل نحو الشيوعية ، أو هكذا ظننت .

عندما استطعت تجاوز الصعوبات التي طرأت في مجتمعي الجديد ، بدأت أشعر براحة اكبر في المنزل وفي المدرسة . ومع دراستي لمادة الاشتراكية في دروس التاريخ ، بدأت أحس وكأن عالما جديدا قد انفتح امام عيني . وللمرة الاولى تعرفت الى امكانية قيام مجتمع اقتصادي اشتراكي : مجتمع يقدم فيه المواطن للمجتمع بقدر مواهبه وامكاناته وهو بالمقابل يتلقى منه الدعم المادي والمعنوي .

في تلك الفترة ، لم أكن قد ادركت بعد معنى الاشتراكية العلمية، حاولت تفهم تجارب اليوتوبيا الاشتراكية . كنت مأخوذة بأولئك الناس الذين يعزلون انفسهم في مجاميع صغيرة من اجل بناء مجتمع اشتراكي انساني.

ربما كان اتجاهي الرومانسي هو دافعي الى الانبهار باليوتوبيا الاشتراكية . لانني عندما بدأت افكر في الامكانية الحقيقية لحل مشاكل ابناء بلدي من السود والبيض لم أجد انتقالة حقيقية ما بين العالم الواقعي العنصري غير العادل وبين عالم الشيوعية المثالي .

أما تأثير البيان الشيوعي علي فكان اشبه بضربة صاعقة . قرأته بامعان ووجدت فيه اجوبة لاشياء كثيرة كنت حائرة ازاءها . قرأته مرارا وتكرارا بالرغم من عدم ادراكي لمعنى بعض مقاطعه . كنت اتحمس لامكانية حدوث ثورة شيوعية في البلاد . وبدأت انظر الى مشاكل السود ضمن المشاكل الكبرى للطبقة العاملة .

بدأت ذاكرتي في العودة الى مشاهد العمال السود في بيرمنجهام

وهم في طريقهم الى معامل الحديد او في طريق عودتهم من المناجم . وبقراءتي للبيان الشيوعي ، سقطت الغشاوة عن عيني وبدات اضع كل شيء في مكانه الطبيعي : العينان المثقلتان بالكراهية في تل الديناميت ، هدير المتفجرات ، الخوف من البنادق المخفاة ، النسوة السود النائحات ، اطفال بلا طعام ، المدرسة ، النشاطات الاجتماعية للطبقة المتوسطة السوداء، الاماكن الخلفية في الباص ، تفتيش الشرطة . واتضح لي ان ما كنت اظنه حقدا شخصيا من جانبي وتعصبا من البيض في الجنوب ضدنا ، لا يعدو كونه نتاجا من نتاجات نظام فاسد يتشبث بالبقاء بتشجيعه لمشاعر البغضاء والحقد بين طرف وآخر .

في تلك الفترة ايضا ، احسست بمدى حاجتي الى تغيير بعض مفاهيمي عن الحرية . كانت المقاطع الاكثر تأثيرا علي من البيان الشيوعي هي تلك المقاطع التي كانت تتحدث عن المجتمع الجديد . مجتمع بلا طبقات، بلا استغلال طرف لاخر .

وحركت كلمات البيان الاخيرة لدي رغبة عارمة للانضمام الى الحركة الشيوعية : « يزدري الشيوعيون اخفاء افكارهم او اهدافهم . وهم يعلنون بصراحة انهم لا يستطيعون تحقيق غاياتهم الا من خلال الاطاحة المسلحة بكل الظروف الاجتماعية السائدة . ان البروليتاريا لن تخسر سوى اغلالها . وأمامهم عالم للفوز به » .

« يا عمال العالم اتحدوا »

بالصدفة ، في فترة قراءتي للبيان الشيوعي ، دعيت من قبل احدى الصديقات لحضور اجتماعات منظمة للشباب تعرف باسم « ادفانس » ، وهي منظمة ماركسية ـ لينينية ، ذات علاقات ودية مع الحزب . كانت معظم تلك الاجتماعات تعقد في منزل هيربرت أبثيكر ـ المؤرخ الشيوعي الجدير بالاحترام . وكانت ابنته ، تلعب دورا أساسيا في قيادة تلك المنظمة .

شاركت « ادفانس » في كافة تظاهرات السلام التي كانت تنظم من قبل سين Sane (لجنة السياسة الثورية العادلة) وفي التظاهرات المطالبة بالحقوق المدنية للسود في الجنوب .

بالرغم من مشاركتي في الحركة بتلك الطريقة ، احسست بانني قد خدعت . ففي تلك الفترة التي اتخذت فيها قراري بمغادرة الجنوب ، كانت الحركة في بلدتي تنبت بسرعة . في عام ١٩٦١ ، اتصلت بوالدي لاخبرهم عن عزمي على العودة . وعندما طلبا مني الاستمرار في دراستي في

نيويورك ، اصابني حزن كبير كان سببا رئيسيا لاهمالي دراستي .

كانت تلك الاعوام مثيرة . ولم اتأسف ابدا للقرار الذي كنت اتخذته للدراسة في نيويورك . ومع ذلك فقد كانت تلك الايام مليئة بالقلق . كنت ما ازال محتفظة برأس جانوس ـ جهة مليئة بالشوق والرغبة الى التواجد في بيرمنجهام حيث المعارك ضد البيض والنظام والجهة الاخرى تتطلع الى تصميمي لبناء مستقبلي . ويستمر وقت طويل حتى يتطابق الوجهان لاعرف الطريق الصحيح نحو الماضي والمستقبل في آن واحد .

أتغلغل في أصل الطبيعة وما فيها من دمدمة وتعارض ومياه

فيدريكو كارسيا لوركا

الفصل الثالث

مياه

أيلـول ١٩٦١

في خلال العامين اللذين امضيتهما في نيويـورك ، لم استطع التغلـب تماما على مشاعري واحساسي بكوني دخيلة على المكان . وبالرغم من ذلك ، واجهت الامر بشكل مباشر. عندما كان ما حولي يبدو مؤلما، كنت اقتطع جزءا من الجدار الذي يحيط بي ، كي اتسلل منه الى عوالم اخرى . عـالم طفولتي وذكرياتي عن اصدقائي ، والعمـل السياسـي في مركز الشبـاب الذي تشرف عليه السيدة ميليش في بروكلين .

اما جامعة براندیس ، فكانت شيئا آخرا . لقد كـان الانعزال النفسي والطبيعي فيها امرا محكما . بحثت في صعوبة بالغة عن الطلاب السود

المبتدئين حتى استطعت اكتشاف اثنين منهم ، كانت اليس احداهما . بالرغم من الصداقة التي ربطتني بأليس ، فان موقفي من الكلية لم يتغير اطلاقا . **وبما ان امر بقائي فيها كان محتما ، لذا بدأت في تكييف نفسي بأسلوب** رومانسي . انهمكت في تلك الفترة في قراءة ما يسمى بالوجودية . (كامو ، سارتر) وهذه القراءات لم تفلح ابدا في دفع شعور الوحدة عني .

في الجامعة ، بقيت بعيدة عن كافة النشاطات الاجتماعية . رفضت الانضمام الى الحركة الطلابية اليسارية لعدم اقتناعي بها . كنت شيوعية في داخل نفسي ، ولم استطع الاقتناع بجدوى تلك الحركات .

كان الشيء الوحيد الذي اثارني في الفصل الدراسي الاول ، سماعي بنبأ قيام جيمس بالدوين بالقاء سلسلة من المحاضرات الادبية لنا . لقد قرأت كل ما وجدته من مؤلفات بالدوين . وعند مجيئه الى براندیس ، **فرحت جدا لاستطاعتي الحصول على المقعد الامامي في المدرج . لكنه ما** كاد يبدأ محاضرته ، حتى جاءت الانباء باحتمال قرب قيام حرب عالمية ثالثة اثر تأزم ازمة الصواريخ في كوبا . اوقف جيمس بالدوين محاضراته بسبب التزامه السياسي . وفي غمرة ذلك ، عمت الفوضى ارجاء الجامعة. **كان الشيء الملفت للنظر ، الموقف الذاتي للطلاب دون التفات ما الى حقيقة** الوضع المؤسف للشعب الكوبي .

وعندما بدأ الطلاب في التجمع من اجل استنكار الحملة الامريكية ، كان عددهم قليلا . تحدث في الاجتماع جيمس بالدوين ، هيربرت ماركوس وعدد آخر من الاساتذة والطلاب . وكانت احاديثهم تؤكد على اهمية الضغط على الحكومة من اجل سحب تهديدها .

كنت اتراسل مع فلوماسون (احدى صديقاتي في مدرسة اليزابيث ايرويـن) بانتظام . قررنا سوية الاشتراك في مهرجان الشبيبة العالمي الثامن الذي كان سينعقد في هيلسنكي ، فنلندا . امضيت بقية العام في العمل من اجل توفير نفقات الرحلة . كنت اعمل في المكتبة وفي مطعم الجامعة ووجدت لي عملا اضافيا في احد مقاهي والثام . بسبب العمل المتواصل ، تقلصت حدود حياتي الاجتماعية ، بل ان لقاءاتي بصديقي الالماني (في تلك الفترة) مانفريد كليمنز ، اقتصرت فقط على تناولنا القهوة سوية في الكافتيريا بعد انتهاء اليوم الدراسي .

عندما حان موعد رحيلنا الى هيلسنكي ، اتفقت مع احدى الصديقات، هاريت جاكسون ، على اللقاء في باريس . وعندما وصلت العاصمة الفرنسية ، تغيرت كافة مشاريعنا بسبب الاضراب . وجدت نفسي وحيدة،

لا أجد طريقا يقودني الى اكتشاف مقر هاريت .

بعد ايام عديدة امضيتها في أحد الفنادق القذرة في الحي اللاتيني ، قرات بهلع كافة الشعارات العنصرية التي غطت جدران المدينة والتي كانت تهدد الجزائريين بالموت . في تلك الاثناء وصلت الصديقة فلو ، واستطعنا معا العثور على هارييت ، حيث انتقلنا نحن الثلاثة ، الى غرفة صغيرة في بناية قريبة من برج ايفل .

في تلك الايام ، بدأنا نتجول في باريس ، نقتصد في النفقات كالسواح . زرنا اللوفر ، متحف رودن ، وشاهدنا مسرحية لوليير وتعرفنا على عدد كبير من الافارقة ، وزرنا الشوارع الخلفية التي تقع فيها مطاعم الطبقة العاملة من الجزائريين .

عندما يكون المرء جزائريا ويعيش في باريس في عام ١٩٦٢ ، يكون مطاردا باستمرار . وعندما كان الجزائريون يقاتلون الجيش الفرنسي في الجبال او في مدن الجزائر ، كانت العصابات الارهابية تطارد في باريس كل من تشك في كونه جزائريا .

وفي باريس ، كانت المقاهي التي يرتادها الافارقة معرضة باستمرار للانفجارات التي تخلف وراءها عددا من جثث الجزائريين . وبدا لي الامر مشابها لما يحدث للسود في بيرمنجهام . والاماكن الجديدة ، التجارب الجديدة التي كنت آمل اكتشافها في خلال رحلتي ، اصبحت مشابهة لتلك التي كنت اعرفها .

عندما وصلنا فنلندا ، كان المهرجان قد اوشك على الافتتاح . ضم مهرجان الشباب العالمي برنامجا ثقافيا كبيرا واحتفالات لنصرة الشعوب في افريقيا ، اميركا اللاتينية ، آسيا والشرق الاوسط . وكان ابرز معطيات المهرجان في نظري ، التقائي شخصيا بوفود شباب العالم وتبادل وجهات النظر معهم .

لم يقتصر المهرجان على فعاليات الوفود ، بل احتوى ايضا نشاطات هائلة لعملاء الـ CIA الذين انبثوا في كل مكان وخاصة بين اعضاء الوفد الامريكي (اعترفت الوكالة بالامر فيما بعد) وقد شمل نشاط اولئك العملاء اختطاف احد اعضاء وفد المانيا الديمقراطية اضافة الى تفجيرهم لعدد من القنابل .

بعد ان ودعت صديقاتي ، وبعد قضاء عدد من الايام في المانيا الديمقراطية عدت برفقة صديقي الالماني مانفريد الى الولايات المتحدة الامريكية لاجد تحقيقا للـ FBI في انتظاري .

ماذا كنت تفعلين في مهرجان الشبيبة الشيوعي خلال الصيف ؟ كان العميل يريد ان يعرف . « الا تعرفين مشاعرنا نحو الشيوعية ؟ الا تعرفين كيف نتعامل نحن مع الشيوعيين » .

★ ★ ★

بالتجارب الغنية التي اكتسبتها في الصيف ، بدأت عامي الدراسي الثاني وانا اكثر نضجا وثقة . قررت دراسة اللغة الفرنسية وانهمكت في قراءة : فلوبير ، بالزاك ، بودلير وبروست . كنت ما ازال مهتمة بسارتر ولذلك قرأت مسرحياته الاولى وفلسفته ومقالاته السياسية .

كان عاما هادئا شهدته الجامعة ولكن الى حين ظهور مالكولم اكس الذي سرعان ما بدد هدوء الجامعة البيضاء .

كنت وزميلي وودي وجوني ، اتخذنا اماكننا في القاعة التي احتشد فيها الطلاب من اجل الاستماع الى ذلك المتحدث الناطق باسم المصلح الديني اليجا محمد ، مبشر الدين الاسلامي في اميركا .

كنت اعتقد في خلال مرحلة الدراسة الثانوية ، ان هذا ، « الدين الغريب » يتحدث في مبالغة عن انتقام الله من البيض وتدميرهم . واخيرا، ولما دخل مالكولم القاعة برفقة رجال ونساء ذوي مظهر انيق جدا، احسست بمدى احساسهم بالكبرياء والثقة وذلك من طريقة سيرهم بخطوات كلها ثقة .

بدأ مالكولم اكس حديثه بلغة ممتازة متحدثا عن الدين الاسلامي وعلاقته بالسود في البلاد . كنت مأخوذة بطريقة وصفه لعملية الاستغلال الذي يمارسه المجتمع الابيض للعنصر الاسود . قال للمستمعين : « انني اتحدث عنكم ! انتم واجدادكم قتلتم وسرقتم شعبنا لقرون عديدة . » كانت غالبية القاعة من البيض ومع ذلك واصل تنديده بجرائمهم . وبالرغم من شعوري بالارتياح لدى الاستماع اليه ، فانني لم اشعر بالرغبة في الانضمام الى حركته .

في وقت مبكر من ذلك العام ، كنت قدمت طلبا للحصول على مقعد دراسي لدراسة اللغة الفرنسية في كلية هاملتون . وبعد جهد شاق بذلته مع مكتب براندیس للزمالات ، استطعت الحصول على موافقتهم على تحويل الزمالة الممنوحة لي الى فرنسا من اجل متابعة السنة الدراسية الثالثة فيها . وفي باريس تقرر اقامة دورة لتعليم اللغة الفرنسية لنا ، نحن الطلاب الاجانب . كان مصيف بياريتز المكان المقرر لانعقاد الدورة المذكورة .

١٦ أيلول ١٩٦٣ .

بعد انتهاء الدرس ، طلبت شراء صحيفة الهيرالد تريبيون . وفيما كنت اتصفحها ، رأيت عنوانا بارزا يتحدث عن فتيات ، وانفجار كنيسة . في بادىء الامر ، كان انتباهي محصورا على الكلمات ، ثم اصابتني الدهشة **وامتلكتني تماما : بيرمنجهام . الكنيسة في الشارع ١٦ . الاسماء. اغمضت** عيني ، احاول اعتصار ما قرأته منها الان . عندما فتحتهما مرة اخرى ، كانت الكلمات ما تزال في مكانها ، الاسماء مطبوعة باللون الاسود . وقلت : « كارول ، سينيثيا . لقد قتلوهم » .

كان زملائي يتطلعون الي في دهشة . اشرت الى المقالة قائلة : « اني أعرفهم ، انهم اصدقائي » .

قالت احدى الزميلات وكأنها تردد سطورا معينة : « انني آسفة ان يحدث مثل هذا الشيء المؤسف » .

انفجرت مشاعري كافة . انهم لا يعرفون شيئا عن العنصرية . كان كل همهم تخفيف احزاني وكأن امرا بسيطا قد حدث .

كان ألمي شديدا لمقتل صديقاتي . لم يكن الحادث نتيجة عمل جنوني بل كان نتيجة تدبير محكم وافراز طبيعي لتلك النية العنصرية . فقد وضعت القنبلة بدقة في غرفة استراحة الفتيات في الكنيسة .

لم يدرك اصدقائي مغزى كلامي الذي حملت فيه الحكومة مسؤولية تلك الجريمة . لماذا يا ترى ، أضع اللوم على محبوبهم كيندي . أيكون نظامهم مسؤولا عن مقتل الفتيات ..؟

وبطبيعة الحال ، لم تكن الغاية ، قتل تلك الفتيات الاربع بالذات ، بل كانت تهدف في الدرجة الاولى الى اثارة الخوف لدى سكان بيرمنجهام السود . كانوا يريدون تحطيم حركتهم قبل ان تترسخ جذورها عميقا في اذهاننا وفي حياتنا .

في تشرين الثاني انتقلت مجموعتنا من بياريتز الى باريس . تحدد مكان اقامتي لدى عائلة لاموت ، على مقربة من قوس النصر .

طوال وجودي في السوربون ، كنت اشعر بانني في كنيسة مشيدة منذ قرون عديدة ، ذات اعمدة تسند سقوفا ذات ارتفاع غير اعتيادي . **يلف السوربون على الدوام ، غموض مثير يدفع الطلاب غالبا الى الصمت .** استفدت من ذلك الصمت . كرست قراءاتي للادب المعاصر . المسرح الفرنسي المعاصر ، الرواية الفرنسية ، الشعر والنظريات . وفي نهاية

العام ، كنت قد شاهدت كافة المسرحيات الفرنسية .

عندما انتشر في باريس نبأ اغتيال كيندي ، هرع كل واحد منا الى السفارة الامريكية . وبالتأكيد ، لم يكن حادث أغتيال كيندي مصدر سعادة لي . وبالرغم من عدم نظافة يديه (اتذكر باستمرار عملية خليج الخنازير ضد كوبا) فان قتله لن يحل واحدة من المشاكل . اضافة الى ازدياد الامر سوءا مع قدوم خليفته من تكساس وحلفاؤه من احتكاريي النفط ..

شعرت في السفارة الامريكية ، بالغربة . لم استطع مشاركتهم البكاء . تساءلت مع نفسي ، كم من هؤلاء الامريكيين قد ذرف دموعا او شعر بحزن حقيقي لمقتل صديقاتي الاربع ؟ .

بالرغم من انني كنت على وشك استلام شهادة في الادب الفرنسي ، فانني كنت راغبة حقا في دراسة الفلسفة . لم أكن ادرك تماما غايتي ، لكنني كنت اشعر بالراحة والامان لدى قراءتي لما يقوله الآخرون عن اشياء ثابتة : الكون ، التاريخ ، الكائنات البشرية او المعرفة .

في خلال سنتي الدراسية الثانية في براندیس ، كان هربرت ماركوز يحاضر في السوربون ، وعندما وصلت باريس ، كان قد عاد لتوه الى براندیس من جديد. كان الطلاب ما يزالون يتحدثون عن محاضراته المدهشة. بعد عودتي الى براندیس ، كان برنامجي مزدحما بشكل كبير بالمواد الفرنسية المطلوبة بحيث لم يتبق امامي مجال لتسجيل اسمي رسميا في محاضرات ماركوز حول مفهوم السياسة الاوروبية منذ الثورة الفرنسية . وبالرغم من ذلك ، حضرت كافة تلك المحاضرات . عندما كان ماركوز يتخذ مكانه على المنصة ، كان حضوره يسيطر على كل شيء . لم يكن الانتباه سائدا طوال محاضراته فقط، بل ان جرس انتهاء المحاضرة لم يعقبه مطلقا اصوات الدفاتر وهي تغلق ما لم يعلن ماركوز عن انتهائها بنفسه .

في احدى الايام ، جمعت اطراف شجاعتي لطلب مقابلة خاصة معه . دهشت عندما حدد لي موعد المقابلة في عصر ذلك اليوم بالذات .

كان ماركوز يبدو من البعد ، غير مشجع على الاقتراب منه . واستطيع ان اقول ان شعره الابيض ، لهجته الثقيلة ، احساسه بثقة غير اعتيادية وثروته الهائلة من المعرفة قد جعلته يبدو دون سنه بكثير ، وعلى القرب كان رجلا ذا عينين براقتين وابتسامة مشرقة .

اخبرت ماركوز عن عزمي على دراسة الفلسفة في مدرسة عالية وربما في جامعة فرانكفورت ، وان ما اريده منه هو تنظيم قائمة لي بالاعمال الفلسفية التي يجب قراءتها بالتسلسل .

قال لي : « عليك اذن البدء بدراسة مرحلة ما قبل سقراط ثم بطليموس وارسطو . عودي الي في الاسبوع المقبل لنناقش مرحلة ما قبل سقراط » .

لم اتوقع ان يتطور رجائي الصغير الى مناقشات اسبوعية حول الفلاسفة الذين كان يقترح علي أسماءهم . لقد منحتني تلك المناقشات صورة مثيرة وحية من تاريخ الفلسفة .

كنت راغبة في الدراسة في معهد الدراسات الاشتراكية/جامعة فرانكفورت . كانت لغتي الالمانية محدودة . وفي خلال العام الاخير في براندیس ، قررت تقديم طلب للحصول على زمالة لدراسة الفلسفة في جامعة فرانكفورت . أيدني ماركوس في ذلك . امضيت الاشهر الاخيرة من ذلك العام في التحضير للفلسفة ، اللغة الالمانية واستعداداتي النهائية لشهادة البكالوريوس .

لم يتلق والداي فكرة مغادرتي للبلاد ثانية برحابة صدر . ومع ذلك كان احساسهما بالفخر عظيما لدى حضورهما احتفال الخريجين . سلمت والدتي الشهادة والميداليات التي حصلت عليها ، جمعت حاجياتي وتوجهنا معا الى بيرمنجهام .

عندما صعدت الى الباخرة المتوجهة الى المانيا كنت اشعر بالاسى لمغادرتي البلاد في تلك الفترة . وفي غضون اسبوع من الزمن ، كنت قد اصبحت في الطرف الآخر للمحيط .

كانت كل ممتلكاتي ، اجرة الباخرة ومئة دولار شهريا للايجار ، الطعام ، اجرة المواصلات ، الكتب وكافة الاشياء الاخرى التي كنت في حاجة اليها .

ومن مشاهداتي في المانيا عرفت ان نصف سكانها ما يزالون متأثرين بأفكار هتلر ومبادئه وان حكومتها بعكس ما يحدث في المانيا الديمقراطية ، لم تنظم حملات خاصة لازالة الافكار العنصرية والفاشية عن اذهان الشعب.

كنت ادفع (٨٠) ماركا ايجارا للغرفة اي ما يوازي ربع ما كنت استلمه شهريا . ولذلك ، كنت في ايام الشهر الاخيرة امضي الوقت في الكتابة الى والدتي طالبة الاستدانة منها . وقد كانت سعادتي بالغة لما عثرت على غرفة في بناية قديمة ، لا يكلفني ايجارها سوى بضعة ماركات شهريا .

في موسم الربيع الاول الذي امضيته في المانيا ، نظمت رحلة لكافة طلاب الزمالات لزيارة طرفي المانيا . امضيت غالبية الزمن المخصص للرحلة

في برلين عاصمة المانيا الديمقراطية . وفي خلال تلك الزيارة تعرفت على عدد من الاصدقاء الالمان والكوبيين . في فرانكفورت أيضا عقدت صداقات متعددة مع الطلاب الاجانب. وكانت فرانكفورت مركزا جيدا للتعلم والخبرة. كل الاساتذة من خيرة المحاضرين من أمثال ثيودور أدورنو ، يوركن هابيرماس ، البروفسور هاج ، الفريد شميدت وأوسكار نخيدت .

وفي الجامعة ، اشتركت في تظاهرات عديدة استنكارا للاعتداءات الامريكية على فيتنام . كان على الطلاب الاجانب التزام الحذر لان اعتقالهم يعني بالتالي طردهم من البلاد . كان من ابرز الطلاب آنذاك ، رودي دوتشة ، رئيس اتحاد الطلاب الاشتراكيين والذي أطلقت عليه النار فيما بعد .

لقد تأثرت حقا بمدى وعي الحركة الطلابية في فرانكفورت وفي سائر ارجاء المانيا . كان الطلاب والعمال يشاركون في تظاهرات كبيرة احتجاجا على سياسة حكومتهم . وكانت الولايات المتحدة الامريكية تشهد في الوقت نفسه حملات مماثلة .

وفي الوقت الذي كنت مختفية عن الانظار في المانيا الغربية ، كانت حركة تحرير السود تجتاز مرحلة مصيرية . انطلق شعار « القوة السوداء » في تظاهرة جرت في الميسيسيبي وبرزت منظمات عديدة منها : اللجنة الطلابية المشتركة للسلام ولجنة المساواة العنصرية ، وانشأت منظمات مماثلة داخل النقابات العمالية ، الكنائس .. الخ من اجل الدفاع عن حرية الشعب الاسود .

عندما كنت ادرس في فرانكفورت ، كان هناك عدد من الشبان السود في أوكلاند / كاليفورنيا ، يناضلون ضد تعسف السلطات في بلادهم . كان من أولئك هوي نيوتن ، بوبي سيل وليد هوتون . وفي يوم من الايام قرأت عن دخولهم الى مبنى الهيئة التشريعية في كاليفورنيا باسلحتهم من اجل الدفاع عن حقوقهم . وكان اسم المنظمة التي ينتمون اليها الفهود السود للدفاع عن النفس .

كلما اشتد النضال في الوطن ، ازددت حزنا لابتعادي عن التجربة . كنت اتقدم في دراساتي وازداد فهما بالنسبة للفلسفة . لكنني مع ذلك كنت اشعر بعزلة متزايدة مع مرور الايام . كنت بعيدة عن مسرح النضال الى الحد الذي لم استطع فيه تحليل مراحله . لم تكن لدي معلومات كافية لتمييز التيارات التقدمية الحقيقية عن غيرها .

بذلت جهدا كبيرا في ايجاد التوازن في حياتي . واني لواثقة اليوم بان ما كنت أحسه من قلق كان انعكاسا للمشاعر الفياضة لكافة ابناء الشعب الاسود في الخارج .

يوما بعد آخر ، بدأت ادرك عدم مقدرتي على انهاء دراستي في فرانكفورت . اتفقت مع (ادورنو) والمشرف على عملي للتحضير لشهادة الدكتوراه ، على اهمية عودتي الى الوطن . كنت في مراسلاتي مع ماركوز ، قد حصلت على موافقته للعمل معه في جامعة كاليفورنيا في سان دييغو .

كان النضال عصب حياتنا وأملنا الوحيد في البقاء . لقد اتخذت قراري . وانتهت الرحلة .

آكلوا النار من الشمس ، سنصنع القبة العالية البيضاء للحصار
ونغطي الصراخ بأجنحة مقدسة
وسنكون فظيعين في تلك الايام

هنري دوماس

الفصل الرابع

« نيران »

كان الوقت صيف عام ١٩٦٧ ، عندما بدأت رحلة العودة الى الوطن . توقفت في لندن لحضور مؤتمر تحدث فيه كل من هيربرت ماركوس وستوكلي كارمايكل . انعقد المؤتمر تحت شعار « دياليكتيك الحرية » وحضره الماركسيون ، الفلاسفة ، علماء الاجتماع والنفس ، الراديكاليون ، الهيبيز وانصار القوة السوداء . وكان من ابرز المتحدثين فيه ستوكلي كارمايكل وميشيل اكس قائد نضال حركة الهند الغربية في لندن .

امضيت فترة وجودي في لندن مع ستوكلي وميشيل اكس . دهشت لانعكاس حالة السود في امريكا على حالة الهنود الغربيين في لندن.

وكما في الولايات المتحدة الامريكية ، كان هناك ميل طبيعي لتعريف العدو « بالرجل الابيض » .

في تلك الاجتماعات ادركت شيئا مهما وهو انه كلما بقي رد فعل السود تجاه العنصرية عاطفيا صرفا ، فان ذلك لن يقود ابدا نحو حل سياسي . وقد استأت لدى معرفتي بميل بعض قادة السود الى التخلي عن الماركسية تماما لكونها « شيئا عائدا للرجل الابيض » . وكنت قد ادركت انه من اجل حصول حركة تحرير السود على اهدافها ، عليها ان تكون جزءا من الحركة الثورية العالمية ، محتضنة كافة القوى العاملة . لذلك اصبت بخيبة امل كبيرة لدى معرفتي بميل القادة السود في لندن الى مقاومة الاشتراكية . وشعرت بالسعادة وخامرني الامل لما عرفت ان ستوكلي على وشك زيارة كوبا . فهو عندما سيرى السود ، البيض والسمر يتعاونون من اجل بناء المجتمع الاشتراكي ، فانه سيكون مرغما على اعادة النظر في موقفه .

عندما وصلت جنوب كاليفورنيا بعد بضعة اسابيع ، كان اول ما فعلته هو البحث عن العنوان الذي اعطانيه ستوكلي للاتصال بالحركة .

لم استطع العثور على العنوان المذكور ، ولذا توجهت نحو سان دييغو للاطلاع على اوضاع الحركة في جنوب كاليفورنيا .

في سان دييغو ايضا ، لاقيت الفشل . وسارت الايام واصبحت فرصة انضمامي الى مجتمع سان دييغو الاسود بعيدة جدا . وفي بعض الاحيان ، كنت ومن شدة يأسي ، اقود سيارتي نحو مرتفعات « لوجان » حيث تسكن غالبية السود وأظل ادور في شوارعها دون هدف ما ، محاولة الوصول الى طريقة ما تريحني من تلك العزلة المخيفة .

كنت في تلك الايام ، كمكتشفة تعود الى وطنها بعد غيبة اعوام عديدة ومعها كنز ثمين لا تدري لمن تعطيه . كنت اعتقد ان قدراتي وايماني بالعمل كان ذلك الكنز وكنت ابحث في كل مكان لاجد منفذا لتصريفه . تجولت في الجامعة ، قرأت الصحف ، تحدثت مع كل انسان يعرف جوابا على سؤالي « اين هم ابناء شعبي » ؟ . كنت على وشك الانفجار دون العمل مع حركة التحرير . لذلك توجهت نحو المنظمة الطلابية الراديكالية في الجامعة . شاركت في تنظيم حملة لاستنكار الحرب في فيتنام .

في العام ١٩٦٧ ، لم يكن عدد كبير من الناس قد وصل الى قناعة بضرورة انهاء الحرب . ولذلك لاقينا الفشل في محاولاتنا العديدة لاقناع الناس بضرورة اشتراكهم في تلك الحملة .

مع الايام ، تزايدت ملاحقة الشرطة لنا . وعندما وصلت الامور الى نقطة الغليان ، قررنا التخلي عن نشاطاتنا في الشوارع والعودة الى الجامعة . ولم نتخذ تلك الخطوة الا وكان الوقت قد فات واعتقلت الشرطة عددا من أصدقائنا .

كانت التهمة الموجهة اليهم « عرقلة النظام في الشوارع » . عندما ذهبت مع عدد من الزملاء لتقديم المساعدات للمعتقلين هددنا رجال الشرطة بأعتقالنا ايضا بنفس التهمة . وعندما لم نتزحزح من اماكننا ، نادى رئيسهم على عدد من افراد الشرطة لالقاء القبض علينا .

في طريقنا الى المعتقل ، القيت نظرة على سان دييغو من خلال نافذة السيارة . ماذا سيظننا المارة ! أيظنوننا من المومسات ! من مدمني المخدرات ! لصوص ! سيقولون كل شيء فيما عدا كوننا من الثوار .

في قسم النساء في المعتقل ، طلب منا نزع ملابسنا ثم وضعنا تحت دش حار في غرفة مغلقة الابواب ، ثم في غرفة منعزلة اخرى .

مضت ساعات طويلة قبل أن تبدأ عمليات التصوير وأخذ بصمات الاصابع وتسجيل اسماءنا . ارتدينا ملابس السجينات وتم اقتيادنا الى الطابق الثاني من المعتقل حيث اغلق علينا باب احدى الزنزانات . بعد انتظار طويل خيل الينا انه كان دهرا ، أطلق سراحنا . وعلمنا ان سبب اطلاق سراحنا هو قيام الجامعة بتقديم احتجاج رسمي للشرطة .

بعد مرور بضعة ايام ، وفي خلال اجتماع للمجموعة التي قامت بتنظيم التظاهرة ، احسست بفرحة كبيرة لما رأيت شابين أسودين في الاجتماع . تم التعارف بيننا ، وفي خلال فترة قصيرة من الزمن ، قررنا (ليز واد وأنا) تنظيم اتحاد للطلاب السود . بدأنا عملنا بالسؤال عن الطلاب السود في الجامعة ، بل اشركنا ايضا عددا من العمال السود العاملين في الجامعة كي يزداد عددنا ونكون قادرين على جذب الاهتمام الينا . وانضم الينا فيما بعد احد الاساتذة السود واستاذ من جامايكا . وأدركنا انه من اجل تحقيق النجاح ، كان علينا الاتصال بالحركات المشابهة والا فاننا سنفشل في اقناع ادارة الجامعة بمدى قوتنا. ومن اجل ذلك قررنا الاتصال بمجلس الطلبة السود في جامعة سان دييغو الرسمية .

مما ادهشني في تلك الفترة، اعتباري واحدة من قادة الحركة السوداء في الجامعة . لم اكن اتطلع الى الحصول على مثل ذلك المركز . ومع ذلك فان الظروف التي احاطت بعملي ، ابرزتني كطالبة سوداء .

انعقد في سان دييغو مؤتمر للسود (من تآلف المنظمات السوداء

برئاسة رون كارينجا) من اجل التضامن مع احد المواطنين السود العاملين في القوة البحرية وهو ادلين . كان ادلين يحارب التفرقة العنصرية في قاعدة بالبو البحرية ، ومن اجل ذلك قام بتوزيع التماس يستنكر فيه التفرقة العنصرية ويطالب زملاءه التوقيع عليه . وفي خلال تلك العملية ، كان ادلين قد اتهم الرئيس جونسون بممارسة العنصرية في القوات المسلحة ، وسرعان ما اتخذت الاجراءات من اجل محاكمته عسكريا ، بتهمة الاساءة لرئيس الجمهورية .

أبدت منظمتنا استعدادها للعمل من اجل تبني قضية اد .

ووافق ادلين على قبول دعوتنا له لشرح قضيته في الجامعة . ومن خلال تلك النشاطات ، اصبحت واد صديقين حميمين .

كان احتفال للشباب قد اقيم في تشرين الثاني عام ١٩٦٧ . كنت ابدو غريبة عن مثل تلك الاجتماعات . فجأة توقفت عن الحركة . لقد نشبت معركة مسلحة بين اعضاء منظمتين (الجبهة المتحدة ومنظمة رون كارينجا الامريكية) . فقد برزت تحت مظهر الوحدة المتماسك ، اختلافات ايديولوجية وتناقضات سياسية كبيرة . وجهت تلك المعركة ضربة عنيفة لمبادئي المثالية . كنت اريد أشياء كثيرة ، واتوقع أشياء أكثر ، وحجب عني الحماس رؤية الحقيقة . وبدأت اعيد النظر في أمر وحدتنا . ان اللون الواحد هو الشيء الوحيد الذي يجمعنا ، ولا غرابة اذن ان تكون وحدتنا هشة .

كانت لنا وجهات نظر مختلفة ، قسم متعصب جدا ضد كافة البيض، وقسم آخر يريد الانعزال عن البيض وبناء مجتمع الشعب الاسود المتميز ضمن اطار الولايات المتحدة الامريكية، وقسم ثالث يريد العودة الى افريقيا، ارض الجدود القدماء. اما القسم الرابع والاخير فكان يريد ابراز روح النضال في الحركة والدعوة الى حمل لسلاح ، كوسيلة وحيدة للتحرر ، بالرغم من عدم وضوح أهدافهم .

بدا لي ، من خلال تلك المناقشات ، بروز تيارين رئيسيين (تيار جيمس فورمان رئيس اللجنة الطلابية المنسقة للعمل السلمي ، وتيار فرانكلين الكسندر رئيس الحزب الشيوعي) . دافع فورمان عن الاقتراح القائل بعدم تمكننا من الاعتماد على تحليل (لون الجلد) فقط واننا في حاجة ايضا الى تحليل طبقي . تحدث فرانكلين عن الاقتصاد والسياسة بالنسبة الى السود . وتحدث عن تلك العلاقات التي تضع السود على السطح باستغلالها للتفرقة العنصرية كاداة لسيطرة الطبقة الرأسمالية

اقتصاديا . بل ان العنصرية قد خلقت في صفوف البيض ايضا انقساما وارتباكا كبيرا .

بعد تأجيل المؤتمر ، دعيت الى اجتماع صغير من اجل الاستماع الى احاديث كل من فورمان ورالف فيترستون عن رحلتهما الاخيرة الى افريقيا . تحدث الاخوان بحماس عن مشاهداتهما في تنزانيا وناقشا اقتراحا حول تأسيس « بنك الكفاءة » يتم من خلاله ارسال عدد من الكفاءات العلمية والفنية للعمل في الدول الافريقية فترة معينة من الزمن .

وبالاضافة الى وجود فرانكلين وكيندرا الكسندر في الاجتماع ، كان حاضرا ايضا عدد من ممثلي منظمة تسمى حزب الفهود السود . كانوا يشكلون كادرا صغيرا ، اخذوا على عاتقهم مهمة تطوير التحليل النظري لحركة السود بالاضافة الى ارساء اسس بناء خاص بهم ضمن اطار الحركة الحالية . لم يكن لذلك الكادر اية علاقة بحزب الفهود السود للدفاع عن النفس برئاسة هوي نيوتون وبوبي شيل ، فيما عدا اتخاذهم اسما واحدا كان مأخوذا عن اسم حزب الفهود السود في بلدة لونديز في الاباما . ومن اجل تمييزه عن حزب هوي وبوبي أطلق عليه اسم الحزب السياسي للفهود السود .

كان ذلك الاجتماع بداية لعلاقة طويلة وعميقة مع عدد كبير من أعضاء الحزب السياسي للفهود . كان تفهمهم لحركة تحرير السود افضل وانضج بكثير مما كنت قد عرفته في سان دييغو . وبالرغم من استمرار علاقاتي بالجامعة والمنظمات السوداء في سان دييغو ، فقد وجدت قوة اشد ورؤية اوضح في لوس انجلس .

كانت احدى مهماتي في رحلتي تلك الى لوس انجلس الاتصال بعدد من المتحدثين في احتفال كنا نعد له من اجل اسناد قضية ادلين . ومن اجل الاعداد لذلك الاحتفال في سان دييغو ، اصبحت في وضع سبب لي في المستقبل مشكلة مستمرة في حياتي السياسية . لقد انتقدت بشدة من قبل الرجال في جماعة كارينجا بسبب اهتمامي « بالاعمال الرجالية » . لقد اصروا على عدم لياقة المرأة للادوار القيادية وعلى المرأة الاهتمام بزوجها وتربية اطفالها. ومن السخرية، ان ما كنت انتقد من اجله، كنت اعمله بدافع مني لتلافي اخطاء اعمالهم. كشفت لي تلك الوقائع جزءا مهما من اخلاقية الرجل الاسود . كان يرى الرجولة شيئا منفصلا عن الانوثة . وكان يعتقد ان المرأة السوداء قد تشكل تحديا لرجولته وخاصة اولئك النسوة اللواتي كن يعملن بحماس ويتطلعن الى قيادة الحركة بجدارة .

لم تكن الثورة بالنسبة لي « مجرد شيء اعمله » قبل الاستقرار النهائي. ولم تكن السياسة بالنسبة لي ناديا عصريا ارتاده بحثا عن اسلوب جديد للحياة الاجتماعية . فالثورة شيء جاد ، وعندما يقرر المرء النضال ، عليه ان يهبه جل حياته .

عندما اقترب عام ١٩٦٨ ، ادركت مدى حاجتي الى الانضمام الى منظمة معينة . فالقفز من نشاط الى اخر لا يمت الى الثورة بصلة . العمل الثوري الجاد يتطلب جهودا متواصلة ومنتظمة ومرتبطة ايضا بجهود الاخرين . وبما انني كنت اعتبر نفسي ماركسية ، فان الاختيار امامي كان محدودا . لذلك بدأت في التفكير في الانضمام الى الحزب الشيوعي وناقشت الامر مرات عديدة مع عدد من الاصدقاء .

منذ أيام دراستي الاعدادية ومنذ حضوري مهرجان الشبيبة العالمي الثامن عام ١٩٦٢ ، لم اجر اتصالات مع اعضاء الحزب الشيوعي ، وبدلا من ذلك كنت على اتصال دائم بالجماعات الماركسية الاخرى . وفيما بعد ، لما بدأت استعيد تلك الايام التي امضيتها في اوروبا ، ادركت مدى تأثري العميق بالافكار المناوئة للشيوعية والتي كانت قد تسربت الى « الحركات اليسارية » الاوروبية .

لم يكن اعدادي كافيا ، في تلك الفترة للانضمام الى الحزب. ومن اجل ان يكون المرء شيوعيا عليه ان يفكر في ذلك مليا ، هل انه يمتلك الثقافة الكافية ، القوة ، الرغبة ، الحرص على النظام !

كنت قد تعرفت على عدد من اعضاء حزب الفهود السود السياسي وتوطدت علاقتي بهم . وعندما قرروا في كانون الثاني منح العضوية لثلاثة اعضاء جدد ، ارسلوا دعوة الى احد الاخوة في كاليفورنيا وهو كاتب جيد ، والى فرانكلين الكسندر والي . قبلت الدعوة . وكانت دعوتهم لفرانكلين بمثابة انفتاح على الماركسية . اما انا فقد نظرت اليهم كقاعدة مؤقتة احدد منها فيما بعد الطريق الذي ساختاره . واعتبروني بدورهم ، ممثلة لهم في سان دييغو .

وفي تلك الفترة تقريبا ، قرر حزب الفهود السياسي للدفاع عن النفس ، والذي كان رئيسه هوي نيوتن سجينا ، تأسيس فرع له في اوس انجلس . ومن سوء الحظ ان قسما من اعضائهم انتقل الى مقاطعتنا تحت اسم « حزب الفهود السود » . وبطبيعة الحال ، حدثت ازمة بين الحزبين اللذين يحملان اسما واحدا . تصاعدت الازمة بتلقي عدد من اعضاء حزبنا تهديدات بالقتل من قبل الحزب الاخر . التجأنا الى جيمس فورمان

لحل النزاع . علمنا من جيمس فورمان عن دمج منظمتي الفهود للدفاع ولجنة الطلاب للسلام في منظمة واحدة برئاسة ستوكلي كارمايكل . وقال فورمان ان موافقتنا على الانضمام الى المنظمة الطلابية سيضع حدا لكافة مشاكلنا،بل ان ذلك سيزيد من عدد اعضاء حزبنا بسبب كون المنظمة الطلابية القوة الرئيسية في حركة تحرير السود . كنت مع اقتراح الانضمام الى المنظمة الطلابية ، لا لرغبتي في حل خلافاتنا مع الفهود للدفاع عن النفس بل بسبب تقديري للمساهمة التاريخية التي قدمتها المنظمة الطلابية للحركة .

وافقنا اخيرا على عقد اجتماع للسلام والصلح بيننا . كان اجتماعا ضخما حضره غالبية الاعضاء ومعظم قادة الفهود للدفاع .

كان هوي نيوتن من اشهر السجناء السياسيين ورمزا هاما للحركة السوداء . وفي وقت لم يكن يسمح فيه بحمل السلاح في كاليفورنيا ، تسلح هو وجماعته من اجل حماية المواطنين السود في اوكلاند . ولانه كان يمثل تهديدا جادا للسلطة، حوصر بشكل من الاشكال وارغم على الدخول في معركة مع رجال الشرطة كانت نتيجتها اصابته بطلق ناري في معدته ومقتل شرطي واحد . كان هوي ينتظر المحاكمة بتهمة القتل . ومن اجله بدانا حملة قوية من اجل جذب اهتمام الناس الى المحاكمة .

قررنا عقد اجتماع كبير في اكبر ساحات لوس انجلس ، طبعنا المنشورات ، اشترينا الاعلانات واستأجرنا فترات للبث في محطات الاذاعة والتلفزيون .

كانت اهمية ذلك الاجتماع كبيرة . وقد استأت لما ورد في بعض الكلمات التي القيت فيه . تحدث ستوكلي مثلا عن « الاشتراكية » كشيء عائد الى الرجل الابيض » ، وقال أيضا ، ان ماركس كان رجلا أبيض ولذلك فانه لا يعتبر شخصا هاما بالنسبة لحركة تحرير السود . وقال « كرجال سود علينا ان ننسى الاشتراكية التي ابتكرتها اوروبا ، وعلينا البدء بالتفكير بالاشتراكية الافريقية التعاونية .

وقد استفزني حديثه بسبب التصريحات التي كان قد ادلى بها ستوكلي لدى زيارته لكوبا حيث قال ان تلك الزيارة قد اكدت له ان الاشتراكية هي السبيل الوحيد لتحرير السود . وها هو اليوم يغير افكاره. وقد فرحت لعدم استمراره في تولي رئاسة المنظمة الطلابية .

استمرت الكلمات واحدة بعد اخرى ولم تطرح اية اقتراحات واضحة على الحاضرين . ما الذي نريده بعد كل ذلك التصفيق والهتافات . ما الذي نريده غير شعار « حدودنا السماء » . وان صدر الحكم باعدام نيوتون ،

فان الطبقة العاملة تتوقع قيامنا بالهجوم على مائة مركز للشرطة على الاقل وتفجيرنا لخمسين معملا ، الخ .. الخ. كان الفراغ شاسعا ما بين الجماهير والقائمين على تنظيم نضالهم من اجل اطلاق سراح نيوتون .

كنا نعمل في حماس ، ونبذل جهدا كبيرا من اجل اقناع الاخرين بحركتنا ، وكنا خلال جولاتنا المستمرة ، نتحسس مشاعر الاخوة والاخوات الطيبة تجاهنا . لقد كان عملنا جماعيا وكان موجها لفائدة شعبنا. وبالرغم من افتقارنا الى ايديولوجية موحدة ، وبالرغم من الطرق المختلفة لطرح مشاكلنا ، فاننا كنا ندرك اهمية العمل الجاد من اجل ارضاء الجميع.

وبالرغم من توقنا الى التعلم من تجارب منظمة اللجنة الطلابية للسلام في التنظيم الجماهيري وخاصة خلال تلك الفترة التي كان فيها تأثيرهم كبيرا في الجنوب ، فاننا لم نشعر بضرورة تطبيق طريقتهم او برنامجهم بشكل حرفي .

وفي داخل المنظمة ، وافقت على تسلم مسؤولية التخطيط لانشاء « مدرسة التحرير » وان اكون المديرة لها في حال تأسيسها .

في خلال تلك الايام علمنا بمقتل جورج كلارك (١٨ سنة) من قبل رجال الشرطة ، وفي مكان لا يبعد الا قليلا عن مكتبنا .

وبناء على المعلومات التي استقيناها من عائلة جورج والشهود كانت الحقائق بهذا الشكل : بينما كان جورج واصدقاؤه يتجولون في احد شوارع المدينة في سيارة موستانك قديمة ، توقفوا لاحتساء الصودا . اقترب منهم احد رجال الشرطة قائلا لهم بان مظهرهم لا يبدو (مناسبا) لقيادة مثل تلك السيارة ، ثم وجه اليهم تهمة احتساء البيرة في السيارة . احتج الاخوة على تلك التهمة . كانت لديهم رخصة السيارةالتيتؤكد عدم قيامهم بسرقتها وقالوا بان الزجاجات الموجودة في السيارة هي زجاجات صودا وليست البيرة . رفض الشرطي الاستماع اليهم . امرهم بالنزول من السيارة وبدأ في تقييدهم . ربما كان جورج قد رفع صوته احتجاجا ، ربما ابعد يديه قليلا ، وربما لم يفعل اي شيء على الاطلاق . وفي كل الحالات ، كان هناك نوع من المناقشة بينه وبين الشرطي . ولم يتوقف الامر عند ذلك الحد، بل دفع الشرطي بجورج الى الرصيف ثم اطلق النار على رأسه من الخلف .

عندما استمعنا الى تفاصيل الحادثة ادركنا ان الحقد والالم لا يعنيان شيئا بحد ذاتهما ، بل ان ما كان يهمنا حقا هو النضال المنظم .

مضى السيناريو في احداثه كما كنا نتوقع دائما . لقد تقبل القضاء الامر من الزاوية التي رواها الشرطي ، واطلق سراحه لانه قتل جورج دفاعا

عن النفس وانه (الشرطي) كان يؤدي عمله رسميا .

دفعنا ذلك الحكم الى تعهدنا بفضح تلك القضية . قررنا محاكمته بانفسنا . حددنا يوما للمحاكمة في الحديقة الجنوبية . هيأنا عددا من الاشخاص لتأدية ادوار المحامين والقضاة . كنت في لجنة الدعاية . وكنت فخورة بملايين الملصقات الجدارية التي حملت صورة الشرطي كارلسون وعبارة « خنزير عنصري مطلوب لقتله الاخ جورج كلارك . وفي خلال ذلك، كنا نهدف الى فضح المحاكمة البرجوازية التي جرت لكارلسون والتي استهدفت حمايته وحماية الاسس العنصرية التي تستند عليها الطبقة الحاكمة في كافة اجهزتها التي تدعي ممارستها للديمقراطية .

بدأت المحاكمة . تم استدعاء « الشهود » واكدت هيئة « القضاة » على عدم انفراد كارلسون بتحمل المسؤولية لكونه جزءا من النظام العنصري. لقد ساعد السلطة على اضافة ضحية جديدة الى سلسلة الضحايا ، ومن اجل عمله ذلك استحق اقصى العقاب .

كان الحاضرون في حالة غضب وحماس . واخذوا يطالبون بهتافات مدوية استعدادهم للقيام بقتل كارلسون . استطاع فرانكلين اعادة الهدوء الى المكان . وقال بان استراتيجيتنا يجب ان تتحدد في المستقبل بالوصول الى اكبر عدد ممكن من الجماهير والحصول على تأييدهم لنا . وفي خلال ذلك الاجتماع ، احسست بمدى قوة شخصية فرانكلين . تأثرت به جدا اشد التأثير كانسانة وشيوعية .

٤ نيسان ـ ابريل ـ ١٩٦٨

امضيت الصباح في مكتب منظمة اللجنة الطلابية للسلام وتوجهت بعد الظهيرة الى مقر لجنة لوس انجلس للدفاع عن لائحة الحقوق .

الروتين الاعتيادي ليوم الخميس ذلك تفتت بصرخة واحدة « اغتيال مارتن لوثر كينج » . لقد اصيب في راسه من قبل قاتل أبيض وأن الامل في انقاذه ضعيف جدا .

لم اصدق الخبر في بادىء الامر ، وعندما ادركت صحته فيما بعد ، انتابني حزن يائس . كنت كالغريق . احسست بنوع من تأنيب الضمير . لقد انتقدنا مارتن لوثر كينج لسياسة اللاعنف التي يتبعها . وللاسف ، اعتقد قسم منا ان دينه وايمانه بفلسفة اللاعنف وتركيزه على الحقوق المدنية قد جعلت منه قائدا مسالما للبيض . ولم يخطر ببالنا مطلقا انه سيقتل

يوما من قبلهم . واعتقد اننا لم ندرك ان اسلوبه الجديد في النضال ، معتمدا على الفقراء من كافة الالوان ، والناس المقهورين في شتى انحاء العالم ، سيخلق تهديدا كبيرا لعدونا . وادركت ايضا انه لم يكن من قبيل المصادفة، مشاركا في اليوم نفسه في مسيرة جماهيرية تأييدا للعمال في اضرابهم .

بدأت مع الرفاق في مناقشة اساليب العمل لتحويل احزاننا وغضبنا على مقتل الدكتور كينج الى شيء هادف . كان علينا التفكير جيدا قبل القيام بأية خطوة . وجاء حادث الاغتيال في الوقت الذي كان فيه كادرنا يعاني من عدد من المشاكل الجادة . كان عدد من الرفاق يفضلون الاعمال البطولية المسلحة وينتقدون بشدة عملنا اليومي غير الرومانتيكي من اجل بناء تنظيم قوي . ومنذ المحاكمة الشعبية ، برز فرانكلين ، كأفضل قائد بالنسبة لكافة كوادرنا .

في ليلةمقتل الدكتور كينج ، كانت شوارع هارلم في نيويورك وشوارع **بيد فورد – ستايفسنت تشهد غضبة الشباب السود الذين هاجموا مكاتب** ومحلات البيض بالحجارة والقناني الفارغة . كانت التظاهرات تعم شمال كارولينا وجاكسون ، الميسيسيبي ، ناشفيل وتينسي وتنذر بالانفجار .

ادركنا ان بعض العناصر كانت تشجع حدوث انفجارات تلقائية للتنفيس عن الحقد واليأس ، تماما كما حدث في اب ١٩٦٥ ، وان ذلك سيمنح رجال الشرطة فرصة ذهبية للتدخل .

كنا في حاجة الى حدث سياسي كبير من اجل تجديد الدعوة للنضال ضد العنصرية . كانت العنصرية سببا في اغتيال كينج والعنصرية هي التي يجب مهاجمتها . اقر ذلك الامر « كونكرس السود » ، واتفقت كافة المنظمات الاعضاء على دعوة الجماهير لتنظيم اجتماع كبير لتصعيد النضال ضد العنصرية .

كان التوتر يتصاعد . بدأنا نحس وكأننا فوق فوهة بركان على وشك الانفجار في اية لحظة . وفي ٥ نيسان ، في اليوم التالي للاغتيال ، اصدر ليندن جونسون اوامره لوزير الدفاع باستعداد كافة القوات للدفاع عن « القانون والنظام » . وحتى نهاية يوم ٦ نيسان ، كان عدد القتلى في سائر ارجاء البلاد قد بلغ (٢٠) شخصا : ٩ في شيكاغو ، ٥ في واشنطن ، ٥ في **ديترويت وواحدا في كل من نيويورك ، تالاهاسي ، مينابوليس وممفيس** (مكان الاغتيال) هذا اضافة الى اصابة المئات بالجروح واعتقال الفي شخص . كانت (٢٣) مدينة في حالة هياج وثورة .

كنا في اجتماع في الكنيسة الثانية عندما علمنا بمحاصرة رجال الشرطة

لمبنى مكتبنا . هرعنا الى المكان . وجدنا الباب مكسورا بفأس ، وعلمنا بنبأ القاء القبض على ثلاثة من اخوتنا كانوا في المكتب للحراسة .

لم يكن اعتداءهم على اجهزتنا الطباعية شيئا من قبيل الصدفة . كان عمل منظمتنا ، تثقيفيا في الدرجة الاولى . وكانت السلطة تدرك ان استراتيجيتنا في تنظيم الجماهير تشكل تهديدا جادا لهم .

سرعان ما استطعنا التغلب على تلك الصدمة . بدأنا في التحرك من اجل جمع مبلغ الكفالة اللازم من اجل اطلاق سراح الاخوة .

في نهاية شهر نيسان ١٩٦٨ ، كان قد مضى على تأسيس فرع منظمة اللجنة الطلابية للسلام في لوس انجلس شهران من الزمن . وكنا قد انشأنا ايضا منظمة للشباب اضافة الى مدرسة التحرير التي كنت اشرف عليها .

كانت اللجنة المركزية الاصلية ، تضم في عضويتها ستة رجال وثلاث سيدات وهن بوبي ، ريني وانا . كانت السيدات يتحملن مسؤوليات كبيرة في شؤون التنظيم . واستطعنا (بوبي ، ويني وانا) دحض كافة الافتراءات التي كانت تتردد عن المراة السوداء .

بسبب تحملنا ـ نحن النساء ـ مسؤوليات كبيرة، تعرضنا لنقد مر من الرجال . ففي تلك المرحلة ، حاولت بعض المنظمات الوطنية دفع المراة الى الخلف . كان الاخوة الذين يقفون ضدنا ، يستندون على ميول الرجال للسيطرة بالرغم من اعتقادي ان عددا كبيرا منهم كان يتفهم الطبيعة الرجعية لتلك الميول . وبالرغم من ذلك ، قرروا الدخول في معركة معنا . كنت اعلم بان الامور تسير نحو الاسوأ واننا قد اصبحنا على حافة احداث جادة ولكنني لم اتصور بأن هذه الازمة ستتوسع الى حرب سافرة .

عندما تطورت الامور ، طلبنا مساعدة من مركز المنظمة الرئيسي في نيويورك . لم يبد فورمان اهتماما كبيرا بالامر بل دعى الى نسيان مشكلة العلاقات السياسية بين الرجل والمراة لانها ستحل مع مرور الايام. طلب منا اقامة العديد من حفلات الكوكتيل من اجل جذب اهتمام ابناء شعبنا للتنظيم واقترح تنظيم دورات فنية في مدرسة التحرير لتعليم السود بعض المهن مثل تصليح اجهزة الراديو والتلفزيون لتأهيلهم عمليا. عارضت ذلك الاقتراح رغم اهميته لان مهمة التنظيم كانت سياسية في الدرجة الاولى. كنت ادرس في تلك المدرسة مع المدرسين الاخرين موضوعات مثل تطور الحركة السوداء. حركات التحرر في العالم الثالث . المهارة في تنظيم الجماهير. وقد انتقدني فورمان لتدريسي الافكار الماركسية قائلا بان المواطنين السود ما يزالون خائفين من الشيوعية وانهم سيسحبون تأييدهم للمنظمة ان هم اشتموا منها

رائحة الشيوعية . وكانت تلك البادرة بمثابة الاشارة الاولى لهجوم كاسح على فرانكلين .

كانت صحف لوس انجلس تتحدث في مقالاتها عن الحركة السوداء وعن فرانكلين وتطلق عليه اسم « الشيوعي المادي » . وبالرغم من انتماء فرانكلين الى الحزب الشيوعي فانه لم يكن ماديا . وقد اثارت تلك المقالات ردود فعل سريعة لدى الاخ القادم من نيويورك (فورمان) . دعي الى اجتماع قومي لمناقشة موضوع وجود عضو شيوعي في قيادة التنظيم . وفي خلال الاجتماع ، اعلن الحضور عدم موافقتهم على ارتباط منظمة لجنة الطلاب للسلام بالشيوعيين وانه من الخطأ السماح لفرانكلين بتولي دور قيادي في المنظمة . كانت نية فورمان مبيتة على طرد فرانكلين متذرعا بحجة تصفية التنظيم من العناصر الشيوعية والماركسية . هل ستكون هذه الحملة مكملة لحملة مكارثي ؟ كنت وشقيق فرانكلين الوحيدان اللذان عارضا ذلك الاتجاه. وكنا كموجة صغيرة وسط بحر متلاطم . كان الخوف من الشيوعية قويا الى حد المساومة على المبادىء والقيم التي ناضلنا طويلا من اجل الحصول عليها .

كان وقتا عصيبا . احسست بانسلاخي عن الاخوات والاخوة الذين لم اعتبرهم رفاقا في السلاح فقط بل اعتبرتهم اصدقاء مقربين لي ايضا .

طرد فرانكلين من التنظيم دون ان يمنح فرصة للدفاع عن النفس امام الاشخاص الذين كانوا ينظرون اليه كرفيق وقائد . بدأت وفرانكلين في التفكير في حركتنا المقبلة . فكرت في الاستقالة ، لكننا بعد المناقشة قررنا ــ انا وشقيق شيرلين ديكون ــ ، الاستمرار في التنظيم فترة من الزمن من اجل مساعدة الاخرين في العودة الى الصواب السياسي . كان الوقت قد اصبح جد متأخرا .

عين المؤتمر القومي رئيسا لتولي مسؤولية التصفية . اعفيت من منصبي كمديرة لمدرسة التحرير . وفي خلال بضعة اسابيع تمت تصفيتنا جميعا من التنظيم . وفي بداية الصيف لم يكن قد تبقى الى جانبنا غير عشرة اشخاص .

ماتت لجنة لوس انجلس للمنظمة الطلابية . اغلق المكتب ابوابه . كان الحادث نصرا للعناصر الرجعية وتعزيزا لمكانتها .

مضت الساعات والايام التالية في مناقشات مستمرة لما حصل : هل كان من الممكن تجنب الهزة الاخيرة؟ هل كان بامكاننا جذب غالبية المؤتمر الى جانبنا . هل كان بامكاننا اقناعهم بالانسحاب من المؤتمر القومي ؟

انتقدت فرانكلين ، وانتقدني هو لعدم خوضنا ، منذ البدء ، معركة ضد اولى بوادر العداء للشيوعية. احسست بانني اتحمل جزءا من مسؤولية ما حدث . كنت ، احيانا ، اتفق مع اليسار المتطرف في مهاجمة الشيوعية . لم افعل ذلك في الاجتماعات الرسمية بل في احاديثي الاعتيادية في المكتب. لقد شاركت الاخرين في نقد الحزب الشيوعي لعدم منحه اهتماما كافيا لقضية معاناة السود واضطهادهم ، بل انه ادرج هذا الموضوع ضمن موضوع تحرر الطبقة العاملة بشكل عام . **اني لا الوم نفسي لنقدي بعض مواقف الحزب الشيوعي بل لانني وجهت تلك الاتهامات دون ان ادرس جيدا مواقف الحزب .** وبادلائي بتلك الاحاديث ، وفي تلك الظروف ، وانا التي اطلق على نفسي صفة الماركسية ، اكون قد ساهمت بشكل من الاشكال في تشجيع الاخرين على عدم اتخاذ موقف ضد معاداة الشيوعية .

منذ ذلك الوقت، بدأت محاولاتي للحصول على المعلومات التي كنت في حاجة اليها ، من اجل اتخاذ قرار حاسم لحسم موضوع انتمائي الى الحزب الشيوعي . وفي تلك المرحلة من حياتي ونشاطي السياسي ، كنت اتوق اكثر من اي وقت اخر ، لان اكون جزءا من حزب ثوري جاد. كنت في حاجة الى قاعدة والى رفاق اشاركهم ايديولوجية واحدة . لقد سئمت المجموعات التي تنقسم على بعضها لدى مواجهتها لاية مشكلة بسيطة . سئمت ايضا اؤلئك الرجال يقيسون علو مكانتهم الجنسية بمقارنتها بذكاء المرأة . كانت المعركة المطلوبة ، هي تلك التي تشارك فيها جماهير الشعب والطبقة العاملة بشكل عام . وكنت اعلم بان هذه المعركة يجب ان تكون بقيادة مجموعة ، حزب له قوامه التنظيمي والفكري .

وفي تلك الفترة ، **اعدت قراءة « ما العمل » (لينين)** . وقد ساعدني الكتاب في توضيح موقفي . ومنذ ايام فرانكفورت ، لندن وسان دييغو ، كنت في انتظار الانضمام للحزب الشيوعي . ومن بين كافة الاحزاب التي تطلق على نفسها صفة الثورية او الماركسية اللينينية ، كنت اجد الحزب الشيوعي وحده غير مبالغ في تقدير قوته .

كان نادي شي ــ لومومبا ، الخلية السوداء للحزب في لوس انجلس. اردت معرفة دوره ومسؤولياته في داخل الحزب . وكما في الاحزاب الشيوعية الاخرى، كانت وستبقى الوحدة للحزب هي النادي (وتسمى الخلية في بلدان اخرى) . وبشكل عام ، تؤلف الخلية من (٥ ــ ٢٠) عضوا. وتأتي بعد الخلية ، القطاعات ، المقاطعات ، الولايات واخيرا القيادة القومية التي تقوم بتنفيذ سياسة يضعها المؤتمر القومي فصليا .

كانت خلية شي ـ لومومبا ، مثل الخلايا الاخرى ولكنها مع ذلك كـ **لها دور خاص ، ينبع من حقيقة اشتراك الشيوعيين السود في لوس انجلس** في النضال ضمن الحزب من اجل تأسيس خلية كل أعضائها مـن السو **وتتحمل مسؤولية نقل الافكار الماركسية اللينينية الى حركة نضال تحرر السو** في لوس انجلس .

كانت الخلية قد تأسست عام ١٩٦٧ ـ ابان نشاط الحركة السوداء . وقد وجد الحزب الشيوعي نفسه ملزما بالتأثر بالحركة الواسعة التي امتدت من هارلم الى واتس .

ـ في تموز ١٩٦٨ ، دفعت بـدل الاشتراك في نادي شي ـ لومومبـا ، واصبحت عضوة في الحزب الشيوعي ـ الولايات المتحدة الامريكية . وبعد تلك الخطوة عدت الى الجامعة للاستعداد لامتحان شهادة P.H.D.

عندما اقترب موعد الامتحان ، عم القلق كافة طلاب السنة النهائية . لم نكن نخشى الفشل فقط بل ايضا عدم الحصول على درجة عالية تؤهلنا لنيل الدكتوراه .

عندما نجحت في الامتحان ، اصبحت مساعـدة مدرس فـي قسـم الفلسفة ، وفي الوقت نفسه كان علي التحضير للدكتوراه . ولذلك كنـت امضي نصف الاسبوع في البحث والتدريس وامضي نصفه الثاني في العمل السياسي في لوس انجلس .

كانت تلك الايام ، فترة هامة بالنسبة لنا . ففي حزيران ، تم اختيار **شيرلين ميشيل (رئيستنا) من قبل المؤتمر الوطني ، لتكون مرشحه الحزب** لانتخابات الرئاسة الامريكية .

ساهمنا جميعا في الحملة الانتخابية لشيرلين في كل مكان . لم نكـن **نبدي اهتماما بعدد الاصوات التي ستحصل عليها بقدر اهتمامنا بمقدرتها على الوصول الى اناس لم يفكروا يوما في امكانية وجود بديل سياسي لكل مـن الديمقراطي والجمهوري . وترشيـح شيرلين اعطانا فرصـة للتحدث عـن الاشتراكية كحل حقيقي لمشاكل الطبقة العاملة وخاصة السود والسمر منهم .**

في تلك المرحلة ، دخلت وشقيق شيرلين، ديكون ، في مناقشات حادة مع قادة الفهود السود في لوس انجلس بعد ان عرضوا علينا العمل فـي حزبهم . طلبوا من ديكون تحمل مسؤولية مكتبهم الجديد في الطرف الجنوبي للمدينة وطلبوا مني المشاركة في البرنامج التعليمي السياسي . اولينا ذلـك الاقتراح اهتماما خاصة وان الفهود فـي تلك الايـام كانوا كقطعة مغناطيس تجذب اهتمام الشباب السود في سائر ارجاء البلاد .

بعد اجتماعات عديدة مع الفهود لتصفية الخلافات والمشاكل السابقة، وبعد مناقشة الاقتراح في نادي شي ـ لومومبا ، اتفقت وديكون للعمل مع حزب الفهود السود .

كان المكتب ، يشهد اجتماعات متتالية : دروس، مناقشات حول حركة تحرر السود في اميركا ، الحركة في لوس انجلس ، استراتيجية وتكتيك التنظيم الجماعي ، النظرية الثورية لماركس ولينين .

لم يمض على افتتاح المكتب فترة طويلة ، حتى سمعنا بخبر مقتل احد الاخوة بوحشية . كان الاخ يحاول شراء البيرة . رفض البائع تقبل نقوده ما لم يبرز هويته للتأكد من سنة . غضب الاخ ، ردد بعض الكلمات وخرج من المحل وقذف بقدمه علبة صفيح فارغة كانت امام المحل . وفي الحال حمل البائع سلاحه واطلق النار عليه عبر الباب الزجاجي وارداه قتيلا . ادعى البائع انه كان يدافع عن نفسه وان من حقه حماية ممتلكاته اي ان حياة ذلك الاخ كانت تعادل خمسة دولارات وهي قيمة علبة الصفيح الفارغة .

اخذنا على عاتقنا فضح تلك الجريمة . نظمنا مسيرات في الشوارع ، احتفالات في كل مكان ، توزيع النشرات والدعوة الى مقاطعة المحل المذكور. وجذبت الينا تلك الحركة الانظار .

فجأة ، وفي خضم ذلك كله ، حدثت ازمة في حزب الفهود السود . تم اكتشاف عدد من رجال الشرطة المندسين فيه وتطورت الامور الى حد توجيه الاتهام الى عدد من الاخوة والاخوات الابرياء . جرت عملية تصفية كبيرة وتم طرد عدد كبير من الابرياء وتجميد اعضاء مكتب الطرف الغربي ، كما استدعي ديكون لاستجوابه حول عضويته للحزب الشيوعي .

ودون حاجة الى القول ، كانت تلك الايام ، فترة مناسبة للتدخل واستغلال الفوضى والارتباك . توالت الانباء عن مقتل عدد من الاخوة القياديين في حزب الفهود السود ، وانتهز رجال الشرطة الفرصة لاعتقال عدد اخر منهم .

في مرات عديدة سابقة ، وقع عدد من القادة والثوار صرعى مسدسات رجال الشرطة او عملاء اذكياء او من قبل اخوة غير واعين يتم استغلالهم من قبل البيض . لقد بكينا في السابق ، حضرنا جنازات كثيرة ، عبرنا عن حزننا لمقتل الرفاق بتلك القسوة ومع ذلك لم نستطع ابدا التعود على تقبل تلك الاحداث .

بعد تلك الحوادث ، هدأت الامور في فرع حزب الفهود السود في

لوس انجلس وبسبب عدم حل المشاكل التي احاطت بديكون وعضويته للحزب الشيوعي شعرت ان المبدأ يتطلب مني عدم الاستمرار مع الفهود . قررت تمضية بقية ايام السنة الدراسية في الجامعة والعمل مع المجلس الطلابي الاسود فيها .

كان من ابرز نشاطاتنا في الجامعة النضال من اجل تخصيص كلية للطلاب السود ، الملونين (الشيكانو) والبيض المنتمين الى الطبقة العاملة . قررنا تسمية تلك الكلية باسم (لومومبا – زاباتا) نسبة الى القائد الكونغولي الثوري الشهيد باتريس لومومبا والقائد الثوري المكسيكي ايميليانو زاباتا .

رفضت ادارة الجامعة طلبنا . وكان ذلك الرفض اشارة لبدء سلسلة **من الاجراءات المضادة : اجتماعات ، تظاهرات، ومواجهات عنيفة . استطعنا الحصول على تأييد عدد من الاساتذة (من بينهم هيربرت ماركوس) .**

وفي نهاية العام الدراسي ، وبينما كنت استعد لحضور مؤتمر في اوكلاند ثم السفر الى كوبا أتم عدد من الطلاب والاساتذة وضع خطط انشاء الكلية . وكان الشيء الاساسي بالنسبة لنا تحمل مسؤولية كل ما يتعلق بأمرها (الطلاب والهيئة التدريسية على السواء) والتأكيد على سير الامور **فيها حسب الغاية المتوخاة من تأسيسها .**

كانت الاستعدادات تجري من اجل الاعداد لمؤتمر قومي كبير . وفي تموز ١٩٦٩ ، قرر القادة ، من كل انحاء البلاد ، حضور مؤتمر لبحث اقتراح حزب الفهود السود لتأسيس جبهة موحدة ضد الفاشية . وكان المؤتمر واحدا من ابرز الاحداث السياسية في ذلك الموسم . وقد أرسى دعائم انهيار العنصرية الضيقة ووحد التحالف بين الجماهير بغض النظر عن الوانهم .

حال انتهاء المؤتمر توجهت بصحبة كيندرا الى مدينة مكسيكو حيث **انضممنا الى بقية اعضاء الوفد الشيوعي المدعو لقضاء شهر في « اول بلد** امريكي متحرر » . كنت قلقة طوال الرحلة بسبب سرقة حافظة نقودي في احدى الحدائق ، وكنت لا امتلك نقودا ولا جواز سفر .

في مكسيكو ، اقرضتني كيندرا بعض النقود من اجل الحصول على جواز سفر جديد من السفارة الامريكية هناك . وبعد اتمام معاملات السفر لدى قسم الهجرة المكسيكي ، غادرنا الى مدينة هافانا .

عندما اوشكنا على الوصول الى هافانا اعلن صوت في الميكرفون « انكم على وشك الهبوط في اول بلد امريكي متحرر » . وعندما توقفت الطائرة **بعد دقائق معدودة ، اخذ كل واحد منا في التصفيق بشكل تلقائي .**

وصلنا الى كوبا قبل احتفالها بعيدها القومي (٢٦ تموز) بيوم واحد .

ففي ذلك التاريخ من عام ١٩٥٣ ، قاد فيديل هجومه على مونكادا كاديسون، القاعدة العسكرية للديكتاتور باتيستا واحدى دعائم قوته . وبالرغم من أن فيديل ورفاقه قد تعرضوا للاعتقال او الموت ، فقد قدر الشعب خطوتهم الاولى الجريئة تلك كأول تحد كبير للديكتاتور باتيستا .

وفي ذلك اليوم ، يقام اعتياديا، احتفال كبير في ميدان الثورة يتحدث فيه فيديل وعدد اخر من الرفاق . وسيكون احتفال هذا العام بداية حملة زراعية لانتاج وزرع اكبر كمية ممكنة من عيدان قصب السكر .

كانت خطتهم تنص على ضرورة انتاج ١٠ ملايين طن من السكر . وفي ذلك اليوم، وبدلا من الذهاب الى ميدان الثورة، ذهب كل فرد من افراد الشعب الى المزارع للعمل . وبالرغم من شعوري بالفخر لاشتراكي في حملة العشرة ملايين ، فقد احسست بخيبة الامل لعدم تنظيم الاحتفال في الميدان .

توقفت السيارة بنا امام فندق (هافانا الحرية) وكان سابقا (هافانا هيلتون) . كانت تلك المرة الاولى التي اشاهد فيها فندقا مثل ذلك : العمال في اجازة . اناس قد تطوعوا للعمل فيه، جرسون لا يطلب البقشيش كما هو الحال في البلدان الرأسمالية .

في الساعات الاولى من صباح ٢٦ تموز ، انتقلنا الى المزارع . كانت حملة قصب السكر مرتبطة بالعمل في ميادين زراعية اخرى : رفع انتاج التبغ ، الفواكه الحمضية ، القهوة .. الخ . زرنا أولا مزرعة للقهوة في منطقة الحزام الاخضر المحيطة بهافانا . كان يوما مرهقا . قررت تجاهل اشعة الشمس القوية والبقاء في مكان العمل مثل المئات من الرفاق .

بعد انتهاء العمل في المزرعة . ذهبت برفقة احد الرفاق في جولة في شوارع هافانا. كانت المباني الاسبانية الطراز تذكرني بحرب الاستقلال. وفي شارع « ميلكون » شاهدنا النصب المقام من قبل الولايات المتحدة الاميركية. كان النسر الذي يعلو النصب قد اختفى من مكانه بعد ان حطمه الثوار بعد مسيرتهم الى هافانا . رأيت امرأة شابة من المليشيا تحمل رشاشها للحراسة في نوبة عملها . وكانت (فلوريدا) ببلوزتها الزرقاء وبنطالها الاخضر واحدة من المشاهد المعروفة في الحياة اليومية للشعب الكوبي .

كان الشعب ما يزال يتحدث عن غزو خليج الخنازير وكأنه قد حدث امس . مضت ثمانية اعوام على تشييع الشهداء السبعة الذين قتلوا عندما قامت الطائرات الامريكية من قواعدها في جواتيمالا ونيكاراجوا بقصف مطارات ثلاث مدن كوبية . كان فيديل قد أعلن النظام الاشتراكي للثورة الكوبية في ٢٦/نيسان – ١٩٦١ ، ودعى الشعب « لاعداد انفسهم والا فان دمى

الامبريالية ستشن عدوانا عليهم . وبالتاكيد ، وفي اليوم نفسه ، قامت السفن والطائرات بنقل المهاجرين الكوبيين (دربوا من قبل الـ C I A بمساعدة عملاء مؤسسة كينيدي ـ وانزالهم في بلاياجيرون .

كانت الاعوام الثمانية حقا فترة قصيرة من الزمن مقارنة بما قام به الكوبيون من محاولات لبناء عالم جديد والاستعداد للقتال حتى الموت من اجل الدفاع عن تلك المكتسبات .

عبر العدوان الامريكي عن نفسه في خلال تلك الازمة بطرق اخرى وذلك باستعماله مسالة الصواريخ السوفيتية في الارض الكوبية ذريعة للحرب . وفي خلال ازمة تشرين الاول ، كان العالم على حافة الهاوية ، واضافة الى وجود الحصار الاقتصادي الامريكي ، كانت هناك ايضا القوات الامريكية في قاعدة جوانتانامو . كما تواردت الانباء عن قيام كينيدي بمناقشة امر اغتيال رئيس الوزراء فيديل كاسترو .

كانت « لجنة الدفاع عن الثورة » من ابرز المنظمات الجماهيرية في كوبا . كانت هذه المنظمة قد تأسست في ٢٨ ايلول عام ١٩٦٠ بعد الخطاب الذي القاه كاسترو والذي انفجرت في خلاله قنبلتان وسط حشود الجماهير .

قال فيديل آنذاك « نحن في سبيل تأسيس لجان لليقظة وسنرى فيما بعد انكان في وسع كلاب الامبريالية التدخل. سننشىء لجانا ثورية للدفاع كي يتولى الشعب مسؤولية حماية الثورة » .

كانت الدعايات التي بثتها الحكومة الامريكية ضد الثورة الكوبية مليئة بالاكاذيب وخاصة تلك التي كانت تتناول فيديل كاسترو . فهو بناء على دعايتهم لم يكن سوى « ديكتاتور شديد القسوة » . يفرض سيطرة حديدية على شعبه . وقد فرض نفسه عليهم كشخص يستحق العبادة. وفي هافانا، وبعد ان رايت الملصقات الجدارية العديدة عن شي جيفارا ، وقادة الثورة الاخرين بحثت في صعوبة عن ملصق أو صورة لفيديل . والصور الوحيدة التي رايتها كانت صورا تاريخية ـ كان يبدو فيها مع المقاتلين في المعارك ـ وعندما سالت عن سبب عدم وجود صور لفيديل قالوا بانه قد منع الشعب من وضع صوره في المكاتب او اماكن العمل . وكان ذلك الامر يثير استنكار الشعب أحيانا ، لانه ، كما علمت يبالغ في التقليل من اهميته .

والحديث مع اي مواطن كوبي عن فيديل ، يؤكد اعتبارهم اياه شخصا ذا ذكاء خارق واستثنائي، قادر على العمل بشكل استثنائي،وهو ايضا انسان ذو مشاعر دفاقة ويتمتع بمواهب قيادية كبيرة . كانت لفيديل اخطاؤه ، اخطاء

انسانية ، وكان حب الشعب له يعود بالدرجة الاولى الى كونه مخلصا لهم . كان فيديل قائدهم ، والاهم من ذلك اخا لهم باوسع معاني هذه الكلمة .

امضينا اسبوعا في قرية سانتا ماريا الثانية التي تقع في منطقة مركز السكر في انتونيو جيتيراس . والعمل في مزارع قصب السكر عمل شاق جدا . وبعد يومين من العمل المتواصل بدات في التعود على حرارة الشمس القوية جدا .

لقد تبدل العمل في مجال قصب السكر بعد الثورة . لم يبق قاطع قصب مأجور في البلاد . ففي خلال الحصاد ، كان كل فرد يشترك في العمل لانه يعلم بأن عائدات بيع السكر في الخارج ستستخدم من اجل رفع مستوى الشعب الكوبي بشكل عام .

قال لي احد الكوبيين : « ان قطع القصب عمل غير انساني فهو يضيف سنوات الى عمر الانسان» . واضاف بأنه الان يواصل قطع قصب السكر لانه يعمل من اجل ذلك اليوم الذي لن يضطر فيه اولاده الى ممارسة العمل نفسه تحت اشعة الشمس المحرقة . وقال ان خطة البلاد تتضمن مكننة كافة مرافق الصناعة وسرعة تنفيذ تلك الخطة تتوقف على مدى التضحيات التي يقدمها الشعب .

كان برنامجنا مكثفا في الاسبوع التالي: زيارة المدارس، المستشفيات، مراكز رعاية الاطفال ، الاماكن التاريخية ، مصيف للعمال ، جامعة سانتياغو، سد ومركز لانتاج الرز .

اينما كنا نذهب ، كنا نتلمس نتائج المعركة العنيفة التي شنت ضد العنصرية بعد انتصار الثورة . كانت اولى خطوات حكومة الثورة ، القضاء على التمييز العنصري في المدن والتي تسللت الى كوبا من قبل الراسماليين الامريكيين واعتبارها جريمة يحاسب عليها القانون .

في نهاية شهر آب، بدات اولى مراحل رحلة العودة بالنسبة الى وفدنا ووفد بورتريكو . غادرنا هافانا في باخرة كوبية رست بنا في ميناء باسية تيرا ـ جزيرة جواديلوبا . في تلك الجزيرة واجهتنا بعض المتاعب مع سلطات الجمارك بسبب حمل الوفد البورتريكي مجموعة من الكتب الكوبية . صادرت السلطات تلك الكتب وجوازات عدد من اعضاء وفدهم . وبسبب معرفتي للغة الفرنسية ، توليت مهمة الترجمة مع الكولونيل الفرنسي الذي اتهمنا بالعمالة لكوبا الشيوعية وقيامنا بنشر الدعاية الشيوعية في ارض فرنسية . تطورت مناقشاتنا مع المسؤول الفرنسي وانتهت بتهديده باعتقالنا .

تمكنا بواسطة عدد من الاصدقاء في تلك الجزيرة ، من الاتصال بسيدة

سوداء ، محاميه محترمة وعضوه بارزة في الحزب الشيوعي في جواديلوبا. **كانت ميترا ارشيميد، ذات ثقة بالنفس غير اعتيادية. احسست لما رايتها انني امام سيدة عظيمة جدا . تأثرت بشخصيتها القوية ووددت البقاء في تلك الجزيرة للتعلم منها .**

بذلت السيدة ارشيميد مجهودا كبيرا من اجل مساعدتنا . واخيرا وافق الكولونيل الفرنسي على مغادرتنا الجزيرة مع شرط التخلي عن المطبوعات الكوبية .

لم نصدق انفسنا ، ونحن نستقل الطائرة التي غادرت الجزيرة الى بورتريكو اولا ثم الى مدينة نيويورك .

كانت الرحلة الى كوبا ، انعطافة كبيرة في حياتي . ازددت نضجا سياسيا ، وترك حماس الكوبيين اثرا دائما في نفسي .

بعد عودتي الى الجامعة ، علمت ان عميلا لـ FBI قد قام بنشر مقالة في جريدة الجامعة عن قيام قسم الفلسفة باستخدام فتاة شيوعية للتدريس. كما ظهرت مقالة اخرى في صحيفة «سان فرانسيسكو اكساميز» **بقلم اد مونتجمري. وبالنسبة اليه لم اكن عضوة في الحزب الشيوعي** الامريكي فقط بل (وبالرغم من التناقض) كنت ماوية ايضا . وادعت المقالة **انني انتمي الى منظمة الطلاب نحو مجتمع ديمقراطي وحزب الفهود السود.** واضافة الى ذلك قال بان لديه معلومات عن قيامي بتهريب الاسلحة لحزب الفهود وانني قد اغفلت فترة من الزمن من قبل سلطات الشرطة في سان دييغو .

عندما قرات تلك المقالات التافهة ، ضحكت ولكني مع ذلك احسست بمدى خطورة موقفي . تأكدت ظنوني لدى معرفتي ان الهيئة العليا للجامعة (برئاسة حاكم الولاية رولاند ريغان) قد اعطت تعليمات لمجلس ادارة جامعة **لوس انجلس باستجوابي صراحة فيما اذا كنت عضوة في الحزب الشيوعي** أم لا .

عندما وافقت على العمل في جامعة لوس انجلس ، كنت قد نسيت **تعليمات كراس ريجينت الجامعي الصادر في عام ١٩٤٩ والذي يمنع استخدام الشيوعيين . وكانت تلك الفقرة غير الدستورية قد ازيلت من الكراس ولكنها بعثت اخيرا من قبل رونالد ريغان وجماعته من أجل منعي** من التدريس في الجامعة .

عندما حدث ذلك الامر ، ادركت ان الاهداف الشخصية التي كنت قد

وضعتها نصب عيني على وشك التصادم مع متطلباتي السياسية في الحياة.

تعهد الرفاق في نادي شي ـ لومومبا باعداد حملة في المجتمع الاسود

في لوس انجلس حول حقي في التدريس . اشترك في الحملة ايضا الرفاق البيض . اما في الجامعة ، فقد حمل الراية كل من اتحاد الطلبة السود ومنظمة الاساتذة السود . كما اصر رئيس قسم الفلسفة (دونالد كاليش) على رفضه لمبدأ تلقي الاوامر من الخارج .

كان المسرح معدا للمعركة . وكانت الخطوة الاولى قيامي بالاجابة على الرسالة التي وجهتها الي الجامعة والتي تضمنت استفسارا عن صحة انتمائي الى الحزب الشيوعي . توقع الكثيرون ان التجيء الى التعديل الخامس للدستور وأرفض بموجبه الاجابة على السؤال كي لا ادين نفسي .

لقد بدأوا الهجوم ، وسأرد الهجوم بمثله . أجبت على السؤال بتأكيد عضويتي للحزب الشيوعي واعلنت احتجاجي الشديد لتوجيه مثل ذلك السؤال الي كما اوضحت لهم عن استعدادي لدخول معركة مكشوفة معهم كشيوعية .

كان رد فعل رسالتي اعلانهم عن النية في فصلي . وتحمس لذلك الامر كافة الرجعيين والعنصريين وأعداء الشيوعية في البلاد . انهالت رسائل التهديد على قسم الفلسفة ومكتب الحزب الشيوعي . وضع خط تلفوني خاص على مكتبي من اجل مراقبة كافة النداءات الخاصة بي. ووضع حرس الجامعة تحت الانذار ، كما اضطروا الى تفتيش سيارتي مرات عديدة بسبب تلك الرسائل . واضطررت من اجل المحافظة على سلامتي الى تغيير الكثير من عاداتي اليومية .

بعد ان حققنا الفوز في المحكمة (عدم جواز طردي لاسباب سياسية) تضاعفت رسائل التهديد . وتضاعفت الحراسة المفروضة علي من قبل أعضاء نادي شي ـ لومومبا .

كانت الحاجة لحماية دائمة لي قد جعلت حياتي لا تطاق الا ان احدى المشاكل التي نجمت عن ذلك هي انتقالي في فترة قصيرة الى شخصية معروفة . كرهت ان اكون مركز ذلك الاهتمام الكبير وضجرت من ملاحقة المحررين الذين كانوا يبالغون في كتاباتهم ، ولانني لم افكر في ان اكون يوما ما «ثورية معروفة» لان ذلك يتناقض مع آرائي السياسية.

وبالرغم من متاعب الشهرة ، فقد واجهت لحظات مؤثرة جدا ، أعرب فيها الاخوة والاخوات عن تأييدهم ومحبتهم لي .

لم يكن لدي ادنى شك فيوقوف والداي الى جانبي بطريقتهما الهادئة كنت أعلم بأنهما لن يضطرا تحت الظروف الصعبة ، الى مهاجمة « ابنتهما الشيوعية » .

كان التاثير النفسي لمعاداة الشيوعية كبيرا بالنسبة للمواطن الاعتيادي . وهناك شيء ما حول كلمة « الشيوعية » ، وهي بالنسبة للشخص غير الواع لا تعني « العدو » فقط بل ايضا شيئا غير انساني وقذر . ولذلك السبب كنت اتحدث علنا عن انتمائي الى الحزب الشيوعي مؤملة تبديد بعض الاساطير التي كانت تعتاش عليها معاداة الشيوعية .

في تلك الفترة ، كنت احتفظ بشقتي الصغيرة بالقرب من الجامعة اضافة الى الشقة الصغيرة الاخرى في لوس انجلس (مكان اقامتي) . وكانت شقيقتي فانيا وزوجها سام يعيشان في تلك الشقة احيانا كثيرة...

وفي يوم من الايام علمت من فانيا ان الشرطة قد اطلقت النار على زوجها سام ، وانه قد نقل الى المستشفى . كانت التهمة الموجهة الى فانيا وسام هي محاولة قتل شرطي . وقد استغرق منا الامر يومين كاملين من اجل جمع المبلغ اللازم لاطلاق سراحهما بكفالة .

استغلت كافة الصحف ذلك الحادث وخرجت في اليوم التالي وهي تحمل عناوين مثيرة مثل : « اعتقال شقيقة انجيلا ديفز بتهمة محاولة قتل شرطي » .

هاجمت سلطات الامن في سان دييغو علنا ، اتهمتهم بتطبيق سياسة رونالد ريغان العنصرية ، ومع ان القاضي اعلن براءة فانيا وسام من تلك التهمة فيما بعد ، فان قضيتهما لم تغلق نهائيا الا بعد مرور عام كامل عليها .

كان الاضطهاد يعم البلاد باسرها . وكان اعضاء حزب الفهود السود من اكثر الناس تعرضا لاجراءات الشرطة . تم اعتقال بوبي سيل وايريكا في نيو هافن . فريد هامبتون ومارك كلارك ، قتلا في سريرهما من قبل شرطة شيكاغو ، كما هاجمت الشرطة مقر حزب الفهود السود في لوس انجلس .

شهدت ورفاقي تلك الحوادث ، وتعاونا معا من اجل تنظيم مقاومة الشعب الاسود . وادى اتحادنا الى ازدياد اجراءات العنف ضدنا .

ففي صبيحة يوم من الايام ، علمت بمحاولة الشرطة اقتحام مكتب الفهود . كانت المعركة بين الرفاق ورجال الشرطة ما تزال مستمرة .

ذهبت الى المكان الذي احتشد حوله عدد كبير من المواطنين . وطوال فترة بقاءنا هناك كنا نسمع اصوات الطلقات النارية . كان رجال الشرطة يحاصرون المكان ، كما تم القاء قنبلة على سطح المبنى بواسطة طائرة هليكوبتر .

عندما اصبح الوقت مساء ، كانت المعركة ما تزال مستمرة ، اتصلنا تلفونيا بمكتب الفهود وعلمنا انهم جميعا ما يزالون على قيد الحياة بالرغم من اصابة غالبيتهم بالجروح . وقال الرفاق انهم على استعداد لمغادرة المبنى ان ضمنت حياتهم .

القيت قطعة قماش بيضاء من النافذة . عم الصمت المكان . وعندما خرج الرفاق من المبنى ، كانوا مرفوعي الراس والدماء تنزف منهم .

تعالت هتافات الجماهير التي احاطت بالمكان : « القوة للشعب » ، « لا خنازير في مجتمعنا » . كان ذلك انتصارا حقيقيا لنا . واحتفالا بتلك المناسبة ، اقام طلاب ثانوية جيفرسون اجتماعا تحدث فيه فرانكلين وعدد من الطلاب . ثم نظمت مسيرة طافت في كافة ارجاء لوس انجلس وكانت الهتافات تتعالى في الفضاء: « اريد ان اكون واحدا من الماوماو . تماما مثل مالكولم اكس . » ، « اريد ان اكون واحدا من الماوماو تماما مثل مارتن لوثر كينج» .

من اجل تنظيم المقاومة ، انشأ تحالف بين حزب الفهود السود ، وتحالف الطلاب السود ونادي شي لومومبا . واستنادا على تحالف قوى اليسار الاسود احسسنا بقدرتنا على دعوة كافة قطاعات الشعب الاسود الى المقاومة .

في تلك الليلة تقرر الدعوة الى اضراب عام في المدينة وعقد اجتماع كبير في مدرجات قاعة لوس انجلس . وفي صبيحة اليوم التالي ، قامت الشرطة بالقاء عدد من قنابل الغاز المسيل للدموع على مكتب الفهود . وبسبب تلك الغازات ، اضطررنا الى الجلوس خارج المكتب . بعد قليل ، احاطت الشرطة بنا واعلن صوت في الميكروفون : « شرطة لوس انجلس تعلن عدم شرعية هذا الاجتماع . امامكم ثلاث دقائق للتفرق ، والا فانكم تعرضون انفسكم للاعتقال » . .

قررنا عدم التفرق . هجم رجال الشرطة علينا ، وانهالوا علينا ضربا . تفرق جمعنا . ركض كل واحد منا في اتجاه . قدم المواطنون لنا خدمة كبرى وذلك بفتح ابوابهم لنا وحمايتنا من ملاحقة الشرطة .

وبالرغم من تهديدات الشرطة واعتداءاتهم، فقد نجحنا في عقد الاجتماع الكبير في اليوم التالي . القيت كلمات مؤثرة في الاجتماع ، وفي كلمتي

قلت ان السلطات الامريكية تهدف الى القضاء على حزب الفهود السود بعد اشهر عديدة ، ظهرت الى الوجود وبشكل علني تلك الخطة . فقد قررت الحكومة القضاء على حزب الفهود السود في كافة ارجاء البلاد. ووصف ادجار هوفر الفهود بانهم «اكبر تهديد للامن الداخلي للبلاد». تحركت قوات الشرطة في اغلب المدن الكبيرة للقضاء على فروعهم فيها وتم اعتقال غالبية الفهود .

كنا في حاجة الى اكثر من وقفة يوم واحد . نظمنا مسيرة نحو معتقل المدينة . كان غضب الجماهير كبيرا . اندفعت الجموع الغاضبة الى المبنى في محاولة لتحطيم كل ما أمامها وانتزاع القضبان الحديدية . كان أمر السيطرة على الجماهير غير ممكن في تلك اللحظات . برز في ذلك الوقت دور فرانكين (دوره القيادي المعتاد) اذ وقف ليحذر بصوته المدوي من مغبة ذلك العمل وليؤكد على ان العمل الجماهيري المنظم أفضل من اضاعة الجهود في التنفيس عن الكراهية والحقد .

غادرت الجماهير المكان ، وواصلت التظاهرة سيرها في شوارع لوس انجلس والمتظاهرون ينشدون اغاني المقاومة : « الحرية نضال مستمر » . « استيقظت هذا الصباح وقد عقدت الامر على التحرر » .

كان من نتائج تلك الحركة، ان تخلت الشرطة عن عنفها فترة من الزمن، وارتفعت من جهة اخرى معنويات السود وازدادوا شجاعة واعتزازا بكرامتهم .

في الفترة التي حدث فيها الهجوم على مكتب الفهود ، بدأ الرجل المسؤول عن المبنى الذي تقع فيه شقتي في اثارة سلسلة من المتاعب والمشاكل لي . كان يراقبني باستمرار لدى خروجي من الشقة وعودتي اليها . وتمادى الرجل في جنونه وتصرفاته ولكنني حاولت تجاهله باستمرار . وازداد الرجل تصلبا في موقفه . كان يجلس في سيارته ، خارج البناية ويظل يراقب نافذتي المطلة على الشارع ، يدور حول المبنى للتأكد من عدم مغادرتي للمكان . ادركت خطورة جنون الرجل في احدى تلك الليالي التي ظل يراقب فيها نافذتي ساعات عديدة . عندما خرجت من المبنى لاحقني بسيارته معتزما قتلي ، ومع ذلك تمكنت من النجاة بنفسي .

بعد تلك الحادثة قرر الرفاق ، ضرورة انتقالي الى مكان اخر . وفي اليوم الذي قررت فيه الرحيل ، جاء الرجل ليتحدث الي والى شقيقتي فانيا . قال انه كان يسمع أصواتا تحثه على قتلي وانه كان يكتب الاشعار عني . عندما اخذ يقرأ لنا أشعاره ، ادركنا ان موضوع كافة القصائد كان

واحدا : كان قد اعجب بي ولكنه يخاف الشيوعية وأخطارها على مجتمعه . كان الرجل مجنونا ، بلا شك ، وطلبنا منه مراجعة الطبيب .

انتقلت الى شقة اخرى في شارع (٤٥) مع تامو يوشيدي وطفلها. كانت تامو عضوة في النادي منذ بضعة أعوام وكان زوجها سجينا بسبب اشتراكه في تظاهرة لمدرسة اعدادية عام ١٩٦٨ .

●●

في احدى الامسيات ، وانا في مكتبي في الجامعة ، جلب لي أحد رجال الشرطة أمرا بضرورة الحضور أمام المحكمة في اليوم التالي. لم أعرف من الامر غير طلب استدعائي كشاهدة دفاع عن متهم يدعى « هيكيما » ، لم أسمع باسمه من قبل .

عندما ذهبت الى المحكمة برفقة المحامي تعرفت على هيكيما . كان الشاب الاسود قد اتهم بالقتل بعد حادثة سرقة تعرض لها رجل أبيض من قبل جماعة من السود . في خلال تلك الحادثة ، سقط رجل أبيض على الارض وأصطدم رأسه برصيف الشارع وتوفي بعد ذلك بقليل . لم يكن ثابتا قيام هيكيما بدفع الرجل الابيض على الارض . اخبرني عن حاجته الى دفاع سياسي يشرح كيف ان العنصرية والفقر قادران على دفع الرجل الاسود والمرأة السوداء الى حالات يائسة .

كان هيكيما قد طلب استدعائي للتحدث عن المساوىء الاقتصادية للعنصرية . كان علي التحدث عن البطالة في مجتمعنا : ٣٠٪ من الشباب العاطلين هم من السود. وكان يريدني ان اتحدث عن الامور التي يتجاهلها البيض بشكل عام : المجاعة والامراض التي تصيب مجتمعنا .

وتساءل هيكيما : « ما الذي يقدر عليه الاسود عندما لا يستطيع الحصول على عمل ما . عندما تنفذ نقوده ، عندما لا يتمكن من دفع الايجار لصاحب المبنى ؟ عندما تيأس زوجته ؟ عندما يجوع أولاده ؟ ما الذي يقدر عليه الاسود ؟ » .

التقيت بهيكيما كثيرا في تلك الفترة ، وكان بأمكاني الالتقاء به في غرفة المحامين في المعتقل كشاهدة دفاع . كنت مأخوذة بتلك الساعات التي أمضيتها معه . وبدأت أعرف وللمرة الاولى بالتغييرات التي طرأت على حياة السجناء . لقد بدأ وعيهم السياسي في النضج . كانوا جميعا يدركون بغض النظر عن قضاياهم الفردية ، ان أغلبهم كان في السجن بسبب كونهم

سودا ، سمرا وفقراء .

رفض القاضي طلب استدعائي للشهادة قائلا بأنه لن يسمح لحركة تحرير السود بدخول قاعة المحكمة . وعندما صدر قرار بادانة هيكيما ، قدم طلبا لاعادة النظر في الدعوى . وافقت ان أكون المسؤولة القانونية عنه والذي كان يعني قيامي بتوصيل الاوراق القانونية من والى المعتقل وتولي مسؤوليات قضيته في الخارج . وبذلك ، تمكنا من مواصلة لقاءاتنا في غرفة المحامين والتي استمرت طوال الاشهر التالية . وهناك ، وبالرغم من المعاملة السيئة في المعتقل ، ايقنت بوجود قوة على وشك الانفجار داخل الجدران واننا ان لم نبدأ في تنظيم حركة لمساعدة اخواننا واخواتنا في داخل السجون ، فاننا لن نكون ثوريين على الاطلاق .

●●

في منتصف شهر شباط تقريبا ، رأيت على الصفحة الاولى لصحيفة لوس أنجلس صورة كبيرة ملفتة للنظر لثلاثة رجال سود . كانت وجوههم هادئة وقوية وكانوا مقيدين بالسلاسل . سلاسل تقيد ايديهم الى الجانبين وسلاسل اخرى تقيد أرجلهم . تطلعت الى الصورة وبغضب وكراهية بدأت أقرأ القصة التي كانت عن سجن سوليداد .

كان سجن سوليداد معروفا بالنسبة للمجتمع الاسود . وفي خلال السنتين الاخيرتين اللتين أمضيتهما في لوس أنجلس ، سمعت به عشرات المرات . كان هناك سان كوينتين ، فولسام وسوليداد .

وسوليداد هي الكلمة الاسبانية ـ سوليتيود (الوحدة) . وعندما كان جوزيف (شقيقي) يعيش معي فترة من الزمن اخبرني بأنهم قد وضعوه فترة من الزمن في زنزانة منفردة في سوليداد . كان وما يزال يحمل آثار سوليداد . فهو يفضل الوحدة ويمضي ساعات طويلة بل أياما متعددة في غرفته، يقرأ ويفكر وحيدا. وعندما كان يتحدث ، كان صوته دائما خافتا وكأنه يخشى الاساءة الى الهدوء العام الذي أحاط به زمنا طويلا .

تحدثت الصحيفة عن اتهام جورج جاكسون ، جون كلوتشيت وفليتا درومجو بقتل حارس في سجن سوليداد قبل بضعة أشهر . لماذا يثار الموضوع الان ؟ تعجبت لاهمال المحررين في التعليق على ذلك السؤال . وكانت المقالة تحاول تحريض الناس على المتهمين الثلاثة قبل بدء محاكمتهم .

في خلال الايام التالية . كنت أفكر باستمرار بالسجناء الثلاثة .

كانت وجوههم الجميلة تحمل مأساة حياة السجون .

بعد مضي عدة اسابيع ، جرى اتصال مع نادي لومومبا حول عقد اجتماع لدراسة وضع سوليداد واعداد حملة جماهيرية لاطلاق سراح الاخوة الثلاثة في السجن .

حضرت ذلك الاجتماع برفقة عدد من الرفاق . رأيت في مقاعد الصف الامامي فاي سيتذر ، محامية جورج جاكسون، ووالدته وشقيقتيه ثم والدة فليتا ووالدة جولد كلوتشيت .

تحدثت فاي سيتذر عن سوليداد قائلة بأن ادارة السجن تحاول ومنذ زمن بعيد فرض شعور الحقد العنصري بين السجناء . وكما كان الامر في المدن الجنوبية، كان التمييز العنصري في السجن تاما. لقد نظمت الامور **بحيث لا يسمح للبيض بالاختلاط مع السود** ، وان حدث ذلك الاختلاط فان الامر سيؤدي الى حدوث معركة بين الطرفين . وبتعاون عدد من السجناء البيض ، نظمت في سوليداد حركة مماثلة لـ « كوكلوكس كلان » وهي المجموعة التي اطلقت على نفسها اسم « اخوة آرايان » .

قبل ١٣ كانون الثاني ، ١٩٧٠ ، كان الوقت المخصص لاداء التمرينات الرياضية يخضع للتمييز العنصري أيضا . وفي ذلك اليوم ، وبدون أي تفسير ، أرسل الحراس السجناء السود ، الشيكانو والبيض لممارسة الرياضة في الساحة . لم يعين حارس واحد لمرافقتهم . وكان الانفجار أمرا حتميا . انفجرت معركة بين سجين أسود واخر أبيض ، وفي خلال دقائق معدودات جرفت المعركة كافة السجناء اليها .

كان المسؤول عن الحراسة في برج السجن في ذلك اليوم ، أو. جي ميللر . صوب ميللر بدقة سلاحه وأطلق عدة طلقات . سقط ثلاثة رجال: و. ل. نيلون ، كليفلاند ادواردز ، آلفن ميللر . كانوا جميعا من السود . وبعد بضعة أيام نظرت محكمة المدينة في الموضوع واعلنت براءة ميللر لانه « كان يؤدي عملا رسميا » .

عندما سمعت حديث فاي ، تذكرت ليونارد ديدوايلددر . فهو عندما كان يقوم بنقل زوجته الحامل الى المستشفى في لوس انجلس، وضع منديلا أبيضا على مقدمة السيارة للدلالة على خطورة الحالة المرضية . اوقفه أحد رجال الشرطة بتهمة قيادة السيارة بسرعة . ودون ان يسمحوا له بتفسير ما يحدث ، اطلقوا عليه النار واردوه قتيلا .. وقد فسرت المحكمة الحادث : « اداء واجب رسمي » . تذكرت جورج كلارك ، الصبي الاسود الذي اوقف من قبل الشرطة لانه لا يتناسب مع سيارة الموستانك التي كان يقودها . ارغم

جورج على ادارة وجهه نحو الجدار ويداه مقيدتان خلف ظهره ، ثم اطلقت عليه النار من الخلف. وفيما بعد فسرت المحاكم ذلك: «اداء واجب رسمي».

كانت فاي ستيذر ما تزال تتحدث عن سوليداد . كان السجن يفور بالمقاومة . عين حارس خاص لهم . ومع ذلك ، بقيت رغبتهم في الانتقام متأججة . ولم يدر أحد من الذي دفع بالحارس من فوق الحاجز .

لم يكن هناك دليل على قيام الاخوة بقتل الحارس. كانت ادارة السجن قد وجهت اليهم تلك التهمة بقصد دفعهم الى غرفة الموت في سان كوينتين ، كي تستعرض فيما بعد ، جثثهم المشبعة بالغاز امام الوف السجناء في كاليفورنيا .

تحدثت بعد ذلك جورجيا جاكسون وعبرت عن مشاعرها تجاه ابنها . « لقد انتزعوا منا جورج عندما كان في الثامنة عشر من عمره . وكان ذلك قبل عشرة أعوام » . قالت انه كان في سيارة أحد أصدقائه ، عندما قام ذلك الصديق بسرقة مبلغ من المال من احدى محطات غسل وتشحيم السيارات . ومع ذلك فقد اتهم جورج بالسرقة .

وبغضب ودهشة استمعت الى وصف السيدة جاكسون للقرار الذي صدر بحق ابنها : السجن سنة او السجن طوال الحياة . سنة واحدة او طوال الحياة . وقد ادى جورج حتى الان عشرة اضعاف تلك السنة . عندما فكرت في أمر جورج ، صممت على انقاذه من غرفة الغاز بشتى الوسائل الممكنة .

كان فليتا الابن الوحيد لوالدته . تحدثت عن آلامها بهدوء وطلبت منا انقاذ ابنها من أعدائه . وقالت والدة جون أنها لا تستطيع بمفردها انقاذ الثلاثة واننا نحن الشعب قادرون على انقاذهم .

بعد انتهاء تلك الاحاديث ، اتخذت قرارات حول تأسيس عدد من اللجان لجمع التبرعات ، الدعاية ، .. الخ .

بالرغم من شعوري بضرورة العمل من أجل جورج وفليتا ، كنت ادرك ان مسؤولياتي المتعددة ستمنعني من القيام بدور بارز في لجنة الدفاع . كان موضوع عملي قد اثير من جديد. كنت عضوة في نادي شي ـ لومومبا واعمل بنشاط في مجال التعليم السياسي . وكان علي أيضا اعداد المحاضرات التي كان علي القاءها في الجامعة . كنت احمل نفسي فوق طاقتها فكيف سأجد لي وقتا للعمل اليومي المستمر في لجنة الدفاع عن الاخوة سوليداد ؟

شعرت بدافع أقوى مني يدفعني للتطوع في العمل . فضلت العمل لانقاذ أولئك الرجال على عملي في الجامعة . في الجامعة كنت أحارب من

اجل حقي كامراة سوداء ، كشيوعية ، كثورية تريد الاحتفاظ بعملها . وفي سجن سوليداد كان جورج ، جون وفليتا يكافحون من اجل حقوقهم كرجال سود، كثوريين يريدون الاحتفاظ بحياتهم. **المعركة نفسها والاعداء انفسهم.**

وافق غالبية الطلاب والاساتذة (فيما عدا العناصر المغالية في التطرف) على مبدأ **الحرية الاكاديمية للتدريس** بغض النظر عن كوني شيوعية .

تم عقد الاجتماع الاول للجنة الدفاع عن الاخوة سوليداد في منـــزل كيندرا . كان عدد الحاضرين كبيرا جدا . ناقشنا في الاجتماع مواضيـع عديدة واتخذنا قرارات مهمة تعهدنا جميعا بتنفيذها .

كنا في حركة مستمرة. كان الناس في رغبة شديدة لغرز أسنانهم في شيء ما .. شيء يجلي القساوة عن اعين الحراس. كانوا يعرفون ان الجدران الرمادية ، أصوات السلاسل لم تلامس حياتهم فقط بل حياة كافـة الناس السود في البلاد . في مكان ما ، في زمن ما ، كانوا يعرفون او يعلمون بأمر واحد أسود مقيد بالسلاسل . لقد انتقلوا من اليأس القديم المنفرد والغضب البدائي الى وحدة ذات رأس كالهايدرا ، تقول بصوت واحد: «لا مزيد، يجب التوقف عند هذا الحد » .

في غضون أسابيع قليلة ، كانت الحملة من أجل اطلاق سراح الاخـوة سوليداد قد شملت كافة مناطق المجتمع الاسود . عقدنـا اجتماعات فـي قاعات لوس أنجلس الكبرى . بدأنا في الجامعة بتأسيس لجان الدفاع عـن الاخوة ، تحدثنا مع العمال ، مع الطلاب وفي كل مكان أمكننا الوصول اليه .

ازددت مع الايام حماسا للقضية وازدادت مساهمتي فيها . لم أرفض اية دعوة للحديث (أوضحت أن كافة أحاديثي ستكون حول قضية الاخـوة وانني ساتبرع بكافة الاجور التي أتلقاها من المحاضرات لصندوق الدفاع عن الاخوة سوليداد) . تحدثت في كلية لويولا في لوس انجلس ، كلية مدينـة باسادينا ، جامعة سان فرانسيسكو ، جامعـة الباسفيـك ، كلية مونتيري الصغرى ، جامعة كاليفورنيا في سانتا كروز . اعدادية باليسيدس. اضافة الى الكنائس والجمعيات الاجتماعية .

كنت مشغولة بالسفر طوال الوقت الى حـد لم استطع فيـه حضور جلسة التحقيق الاولى مع الاخوة في ٥ أيار . كنت أود باستمرار الالتقـاء بالاخوة ولو لمجرد القاء نظرة واحدة عليهم . وكنت قبل ذلك التاريخ ببضعة أيام قد تلقيت رسالة من جورج يقول فيها انهم في غاية الشوق لرؤيتي .

كان موعد الجلسة الثانية في الاسبوع التالي . هيأت نفسي للذهـاب الى ساليناس . ذهب ثلاثة منا برفقة عوائل السجناء . عندما وصلنا الـى

ساليناس ، بحيث عيناي بشكل غريزي عن وجوه سوداء . لم ار شخص أسود على الاطلاق . كان الكسل مسيطرا على المدينة التي بدت شبيهة بمدن الجنوب . وجوه الناس البيض كانت تحمل ملامح مألوفة بالنسبة لي وهي مزيج من الرغبة اليائسة والاحساس بالتفوق .

لم نجد صعوبة في العثور على قاعة المحكمة . كانت القاعة في وسط المدينة . هذه هي بلدة مونتيري المترفة والتي يأتي اليها الوف الناس سنويا للراحة والاستماع الى موسيقى الجاز المفضلة لديهم والتي تشتهر بها مونتيري . وهكذا كانت تلك البلدة مكانا مناسبا للمحاكمة من اجل تغطية الحدث وتغطية تصريحات القاضي كاميل الذي أعلن وبصراحة عن نيته في تسليم الاخوة سوليداد الى جلاديهم .

كانت محكمة البلدة مثل كافة مباني المحاكم الاخرى . كانت بجدرانها المرمرية الساحرة وارضيتها النظيفة تبدو وكأنها قد صممت خصيصا من اجل اخفاء الاعمال العنصرية القذرة التي تمارس فيها . وهنا ، مثل اي مكان اخر **كانت العدالة مجرد رمز يدل على شيء مزيف .**

كان عدد الحاضرين كبيرا الى درجة لم تتسع القاعة لهم . واستطعت التسلل مع اقارب السجناء الى الاماكن المخصصة لهم . الهدوء يعم المكان . انتظرنا . تمنيت ان يحدث شيء ما ليكسر حدة ذلك التوتر قبل انفجاره .

دخل القاضي الابيض البدين واتخذ مكانه خلف المنصة . وعندما دخل ابطالنا القاعة صفقنا لهم بحرارة . لم نخش السلاسل التي كانت تقيد اجسادهم . لقد وجدت السلاسل من أجل تحطيمها وسحقها . كان وجود الاخوة اقوى واكثر سيطرة من اية مشاعر .. كانوا جميلين . وكانوا مقيدين بالاصفاد ومع ذلك كانوا يقفون باستقامة وكبرياء ..**ما أجملهم !**

بدا لي جورج اكثر حيوية مما كنت أتخيل . كان قوي الجسم وذا كتفين عريضين . يداه قويتان وكأنهما قد نحتتا رمزا للقوة القديمة . تطلعت اليه ولم أكن قادرة على تصديق جمال ابتسامته المنعشة .

كان جون اطول الثلاثة ، داكن اللون . ذو ملامح حلوة . وكان فليتا مليئا بالامل ، أومأت اليه بابتسامة جميلة مشرقة .

في ختام الجلسة الروتينية ، اقتربت من منصة الدفاع مؤملة تبادل بعض الكلمات معهم . لما اقترب جورج، لم يكن الوقت مناسبا لتبادل عبارات التعارف التقليدية . تحدث جورج وكأن صداقتنا تمتد لسنوات عديدة :

« انجيلا ، هل استلمت رسالتي ! »

« اتقصد تلك الملاحظة التي أرسلتها في الاسبوع الماضي الى المنزل ؟»

« لا . اني اتحدث عن الرسالة الطويلة ذات الاوراق الصفراء الرسمية. الم تستلميها ؟ » .

« لا . لم أشاهدها » .

« اللعنه . كنت اريدك ان تقرئيها قبل مجيئك الى هنا » .

صمت قليلا وأضاف :

« لا بد وان الرسالة مع هد ... أتعرفينها ؟ »

حركت رأسي بالنفي .

« انها هنا في مكان ما . من السهل عليك العثور عليها . وأرجو ان تتأكدي من الحصول على الرسالة قبل مغادرتك للمكان » .

« لا داع للقلق جورج . ان كانت موجودة هنا فسأجدها حتما » .

كان هناك المزيد مما كنت أود التحدث به معه . لكن حاجب القاعة أعلن انتهاء الجلسة .

لم اجد تلك الرسالة في ذلك اليوم . توصلت الى معرفة هد ... واتفقت معها على ايصال الرسالة لي في خلال الايام التالية .

في المرة الاولى التي رأيت فيها جوناثان جاكسون ، تذكرت شقيقي الاصغر ريجينالد . مثل ريجي ، كان طويلا ، ذا بشرة فاتحة وشعر غزير بلون الرمال . كنت قد دعيت للتحدث في المؤتمر السنوي للجنة لوس انجلس للدفاع عن لائحة الحقوق المدنية . واختار المشرفون على المؤتمر موضوع « **نضال السجون** » كمادة رئيسية » . وقد ساهمنا جميعا بالاشتراك مع أقارب السجناء في المؤتمر وفي السوق الخيرية التي افتتحت في نفس الاسبوع أيضا .

بعد انتهاء المؤتمر ، قمت بتوصيل جورجيا وبيني جاكسون الى منزلهما . الحتا علي في تناول القهوة لديهم . كان الوقت متأخرا ، وكان كل من في منزل جاكسون قد ذهب الى النوم . جلسنا ـ نحن الفتيات ـ حول مائدة الطعام نناقش ما دار في الاجتماع . في تلك اللحظات ، ظهر جوناثان بالقرب من الباب ، وهو يفرك عينيه لابعاد النوم عنهما ، دمدم وهم يبتسم « ما هذه الضجة ؟ الا يستطيع المرء الحصول على بعض النوم هنا » . دخل الغرفة وجلس معنا حول المنضدة وأخذ يشاركنا الحديث .

كان جورج قد كتب لي في الرسالة ممتدحا جوناثان لذكائه وثقته غير المتزعزعة فيه . واخبرني أيضا أن جون كان قد بدأ ينسحب بعض الشيء عن الحركة وطلب مني محاولة اعادته الى صفوف العاملين .

عندما تحدثت مع جوناثان، وجدته راغبا في الحديث عن جورج فقط.

كانت كل اهتماماته ، كافة فعالياته مرتبطة بشكل او باخر مع اخيه فـــ سوليداد .

كان جوناثان وهو في السادسة عشر من عمره ، يحمل اثقال مسؤوليه لا يقدر على حملها الشبان من أمثاله . عندما كان في السابعة ، رأى جورج طليقا للمرة الاخيرة. ومنذ ذلكالوقت كانت زياراته تتم تحتملاحظة حراس مسلحين في شينو ، فدلسام ، سان كوينتين وسوليداد . وكانت الرسائل المتبادلـة قد نمـت العلاقة بينهمـا والتي لـم تمـر بمراحلها الطبيعيـــة في المنزل ، الشارع او في الساحات الرياضية . وبسبب أوامر السجن بعدم تجاوز الرسالة الصفحتين وبسبب الرقابة عليها ، فان موضوعاتها لم تتطرق الى اكثر من كيفية التوصل الى اخراج جورج من السجن وتبرئته .

كان جوناثان فخورا بعلاقته بشقيقه ، فخورا بنضجه وبثقة جـورج فيـه ..

عرض علي جوناثان رسائل جورج ومقالة كان قد كتبها في صحيفـة المدرسة شارحا فيها قضية الاخوة سوليداد . كانت المقالة جيدة . ومثـل جورج ، كان يجيد التعبير عن نفسه بلغة قوية ومؤثرة . اخبرت جوناثان عن حاجتنا الى كتاب جيدين لاعداد نشرات اللجنة . اتفقـت معه علـى حضور الاجتماع المقبل .

حضر جون اجتماعنا التالي ومنذ ذلك الحين لم يتغيب عن اجتماعاتنا الا نادرا . لم يكن كثير الكلام في تلك الاجتماعات ، لكنه كان فعالا ودؤوبـا في الكتابة وتوزيع النشرات .

اخذت أمضي اوقات طويلة مع اسرة جاكسون . كنـت وفرانسيس وبيني او جورجيا غالبا ما نشارك في القاء الاحاديث من اجل الدعاية للجنة. وقد رافقنا جوناثان الى اغلب تلك الاجتماعات . اقتربنا من بعضنا اكثـر ، بدأت انظر اليه لا كأخ في النضال فقط ، بل ايضا كأخ في الدم .

ازدادت اتصالاتي مع جورج وانتظمت اكثر من ذي قبل . كنا نختلف او نتفق حول عدد من المسائل السياسية ، وقد تطورت ألفة خاصة بيننا. وفي رسائله التي تناولت الجزء الاكبر منها موضوعات مثل : الحاجة الـــى نشر الافكار الشيوعية بينالجماهير السـوداء . الحاجـة لتطويـر حركـة السجون ، دور النساء في المعركة .. الخ . في تلك الرسائل، تحدث جورج ايضا عن نفسه ، حياته السابقة ، امنياته الخاصة وطموحاته ، أفكاره عـن المرأة وشعوره تجاهي . » لقد اصبحت كثير التفكير بالمرأة مؤخرا . هكذا

كتب لي مرة : « هل هي ظاهرة عاطفية ام انها بادرة خاطئة ؟ لا يمكن اعتبارها كذلك . لم اشعر من قبل بأهمية الجنس . يجب أن أشغل نفسي بشيء ما، من الافضل ممارسة الرياضة ... »

بدأت أتعرف على جورج لا من خلال الرسائل التي كنا نتبادلها فحسب بل أيضا من خلال الناس الذين كانوا على صلة وثيقة به ـ من خلال جون وبقية افراد اسرة جاكسون ، من خلال جون ثورن والذي كان دائم الاتصال به بحكم كونه محاميا عنه . وكلما ازددت اقترابا من جورج ، وجدت نفسي اكشف جانبا من خفايا نفسي لاصدقائه المقربين . وفي الرسائل ، استطعت الوصول اليه ، ابديت له استجابتي لا بالنسبة للمسائل السياسية التي طرحها بل اخبرته ايضا عن ازدياد عمق عواطفي تجاهه وتجاوزها احاسيس العمل السياسي ، لقد شعرت بعاطفة شخصية نحوه .

عندما علم جورج بكثرة رسائل التهديد التي كانت تصلني ، اخذ يحذرني من الظهور في مكان عام دون حراسة الرفاق . ومن خلال تجربته ـ خلف الجدران ـ كان مقتنعا تماما بعدم استطاعة المرء الابتعاد عن الخطر. واضافة الى ذلك فان رفاق شي ـ لومومبا كانوا أشياء مجردة بالنسبة اليه . لم يكن قد رآهم مطلقا . كان يعرف جوناثان فقط ويثق به اكثر من أي شخص اخر في الطرف الاخر من الجدران .

عندما كان العمل قائما على تهيئة كتاب جورج «الاخ سوليداد» للطبع، طلب مني مراجعة المخطوطة وابداء الملاحظات من اجل تنقيحها . وفي الليلة التي استلمت فيها المخطوطة ، خطر لي قراءة عدد من رسائلها وتأجيل قراءة بقية الكتاب لوقت اخر . لكنني حالما بدأت في القراءة ، اصبح من العسير علي الانصراف عن الكتاب حتى الانتهاء من اخر كلمة فيه . ذهلت بعد انتهائي من القراءة . ان التأثير القوي لتلك الرسائل لم ينبثق فقط مما يمثله كاتبها باعتباره احد ضحايا الاضطهاد العنصري ، او بسبب الطريقة التي عبر بها جورج عن تقديره للامور الشخصية والسياسية في خلال السنوات الخمس الماضية ـ بل انبثق من الطريقة الفذة ، الواضحة ، الحية والتي شرح بها جورج ظروف شعبنا داخل جدران السجون وخارجها . وفي بعض فقرات الكتاب ، اشار جورج بدقة شديدة، وبشكل طبيعي جدا الى أسباب عدم استطاعتنا تحقيق حريتنا بطريق اخر غير الاشتراكية .

●●

في ١٥ حزيران ، كان قد تقرر عقد واحدة من اهم جلسات التحقيق

التي تسبق محاكمة الاخـوة سوليداد في ساليناس . قـرر المحامون طلب نقل المحاكمة الى مكان اخر . ذهبت برفقـة عدد من الرفاق الـى ساليناس بصفة ممثلين للجنة الدفاع في لوس أنجلس .

كنا قد توقعنا معركة عنيفة في داخل المحكمـة ، ولكننا لم نتوقـع أن يكون القاضي صلفا الى درجة منـع الاخوة أنفسهم من الظهور فـي قاعـة الاستماع . عندما علم الحاضرون بذلك التدبير ، اختل النظام في القاعة . وقالت فاي ستيذر (المحامية) بـأن المحامين يطلبون تغيير مكـان انعقـاد المحاكمة . اصبح القاضي في وضع مضطرب ولم يستطع السيطرة على مـا يدور في القاعة . واضطر اخيرا للقول « حسنا . تستطيعون تغيير المكان. اين تريدون انعقادها ؟ » .

« سان فرانسيسكو » . اجابت في الحال . وقالت فيما بعد انهـا لم تكن تتوقع ابدا موافقته على اقتراحها .

قال القاضي وهو في حالة اجهاد شديد .« حسنا . اني آمر بنقـل المحاكمة الى سان فرانسيسكو » .

قال ذلك وغـادر المنصة متوجها نحـو غرفته دون ان يعلـن اختتـام الجلسة رسميا .

احتفلنا بذلك الانتصار . ربحنا جولة تغيير المكان وكان ذلـك النصر مهما : محاكمة في سان فرانسيسكو ستكون اكثر قدرة على استقطاب الرأي العام . سيكون الامر سهلا علينا لتنظيم التظاهرات امام قاعة المحكمة .

كان شهرا حزيران وتموز بالنسبة لاعضاء لجنة الدفاع عـن الاخـوة سوليداد حافلين بالعمل . عملنا معا من اجل التعريف بالحركة ونشرها فـي شتى المناطق .

في ١٩ حزيران ، اشرفت مجموعتنا فـي لوس انجلس علـى تنظيـم تظاهرة واجتماع خارج المبنى الرسمي لسلطة الولاية . وللصدفة ، كان ذلك اليوم هو موعد مناقشة موضوع عملي في الجامعة من قبل لجنة ريجينت . كان للتظاهرة جانبها السيء والحسن . عكس الجانب الاول مقدرتنا على جذب تأييد المزيد من الجماهير ، وعمل الجانب الثاني على صرف الانظار عن الموضوع الرئيسي وهو الاخوة سوليداد الى موضوع قضية عملي .

في ذلك الاحتفال تحدث ماساي هيويت ، وزير تربية حزب الفهـود السود بالنيابة عن رفاقه السجناء . اما جين فوندا التي وافقت بحماس على الاشتراك في الاحتفال ، فقد كانت المسؤولة عـن اعلان بدء حملـة جمـع التبرعات . أما انا فقد تحدثت عن عمل لجنتنا الهادف الـى اطـلاق سراح

الاخوة . اخبرتهم عن النتيجة التي توصلنا اليها وهي عدم اقتصار النضال على الجوانب الفردية . علينا ان نفعل اكثر من ذلك : ان نبدي اهتماما بأخوتنا واخواتنا خلف جدران السجون .

بعد انتهاء الاحتفال ، سار المتظاهرون في شوارع المدينة. كان الحشد جميلا بتكوينه المتعدد الالوان : سود ، شيكانو ، آسيويين ، وبيض . كان هناك الشباب ، الشيوخ ، العمال ، الطلاب والموظفون .

لم يكن قد مضى على بدء التظاهرة وقت طويل ، عندما اخبرني بعض الصحفيين عن انتهاء لجنة ريجينت من اتخاذ قرارها : لن يتم التعاقد معي في العام الدراسي المقبل .

قررنا عقد مؤتمر صحفي امام مبنى سلطات كاليفورنيا الرسمي . وعندما تحدثت ، كانت كل كلماتي تقول شيئا عن العلاقة بين طردي والاضطهاد الذي يتعرض له الاخوة سوليداد وكافة السجناء السياسيين .

لم تستطع لجنة ريجنت اثارة موضوع عدم تعيين الشيوعيين في الجامعة ، اذ كان قرار المحكمة ما يزال نافذ المفعول . ولم تستطع ايضا تقديم اي دليل على تقصيري في اداء واجباتي الاكاديمية، لان لجنة التحقيق المؤلفة من عدد من الاساتذة لتدقيق واجباتي ، لم تجد أي ذريعة ضدي .

وهكذا ، كان كل ما تبقى لدى لجنة ريجنت هو الاشارة الى احاديثي السياسية خارج الصف المدرسي والتي لا تتناسب مع عملي كاستاذة جامعة .

كانت لجان الدفاع عن سوليداد تجتمع بشكل مستمر لوضع استراتيجية لمواجهة محاكمة سان فرانسيسكو المقبلة . اعدت لجنتنا سلسلة من حفلات الكوكتيل من اجل جمع التبرعات . أشرفنا على عرض فيلم عن فيتنام « عام الخنزير » . استطعنا جمع عدد كبير من الجماهير الى اجتماعاتنا . وافق عدد من الفنانين ، السود والبيض ، على التبرع باعمالهم لنا . كما وضعنا خططا لمشاريع اخرى مماثلة في الايام المتبقية من اشهر الصيف .

بقيت تلك الفعاليات حبرا على الورق، لان الجانب الاكاديمي من حياتي كان يتطلب الاهتمام ايضا . وفي نهاية الصيف ، اتخذت قرارا بتحقيق الهدف الذي كنت قد وضعته نصب عيني وهو الاهتمام بدراستي وخاصة وان عملي سيكون أسهل من ذي قبل بسبب المنحة الدراسية التي كنت قد تلقيتها من الجامعة لاشهر تموز ، آب وايلول .

كنت راغبة فعلا في تقليص عملي السياسي الى أقل حد ممكن . بدأت

في اتخاذ تغييرات عملية معينة . بدأت بالبحث عن شقة صغيرة ورخيصة أستطيع الاختفاء فيها ساعات طويلة للعمل لان شقة كيندرا وفرانكلين كانت قد أصبحت مكتبا للجنة . واستطعت الاهتداء الى شقة صغيرة في الشارع ٣٥ .

في منتصف شهر تموز تقريبا ، قمت برحلة قصيرة الى منطقة الشاطىء للتحدث عن الاخوة سوليداد في اجتماع اقامته منظمات عديدة في سان فرانسيسكو ، بيركلي واوكلاند . وكان الاخوة قد نقلوا من سوليداد الى سان كوينتين بعد قرار تغيير مكان المحاكمة . تحدثت في الاجتماع عن أهمية توسيع الحركة والاهتمام بتحريك القوى اليسارية في تلك المنطقة وتركيز نشاطنا ضمن المجتمع الاسود .

عندما كنت في منطقة الشاطىء ، طرحت علي لجنة سوليداد للمرة الثانية موضوع التفرغ للعمل في تلك المنطقة ومساعدة لجنتها في العمل . ترددت في بادىء الامر بسبب القرار الذي اتخذته حول الاهتمام بالدراسة، ومع ذلك قررت تمضية بضعة أسابيع في منطقة الشاطيء والاستفادة من مكتبة جامعة بيركلي التي كانت تتضمن مصادر أوسع لاطروحتي من مكتبة جامعة لوس انجلس .

٧ ايلول ١٩٧٠

بدأت المحاكمة في القاعة رقم (١) برئاسة القاضي هارولد هيلي . كان المتهم فيها ، جيمس ماكلين ، سجين سان كوينتين بتهمة اشتراكه في حادثة اعتداء في السجن . عندما اتخذ جوناثان مكانه في القاعة ، كان روشيل ماجي ، سجين اخر في سان كوينتين ، يقدم شهادته في الدفاع عن المتهم . جلس جوناثان برهة من الوقت ، ثم وقف وفي يده بندقية صغيرة وأمر الموجودين في القاعة بعدم التحرك . انضم ماكلين وروشيل الى جوناثان ووليام كريستماس الذي كان واقفا في انتظار دوره للشهادة .

شهد عدد من موظفي (الشريف) فيما بعد ، ان الاخوة قد هتفوا ، « الحرية للاخوة سوليداد ! » وادعى اخرون سماعهم عبارة « الحرية لاخوتنا في فولسوم » بينما ادعى اخرون سماعهم « الحرية لكافة السجناء السياسيين » . وقال المدعي العام ان الغاية من التمرد كانت اطلاق سراح الاخوة سوليداد .

اقتيد القاضي والبندقية ملتصقة في عنقه ، كما اقتيد المدعي العام وعدد من المحلفين الى سيارة في الخارج . اطلق حراس سان كوينتين النار

على السيارة . ثم انطلق وابل من النيران عليها . وعندما تبدد الدخان ، توقع الجميع مقتل جميع ركابها أو اصابتهم بجروح على الاقل بسبب كثافة النيران . قتل القاضي هيلي. أصيب المدعي العام ، كاري توماس بالجروح. جرحت امرأة من هيئة المحلفين . قتل ماكلين . قتل كريستماس جرح روشيل . أما جون .....

عندما علمت بأمر التمرد ، فيما بعد ، في الليل ، ولما رأيت مشاهد محكمة بلدة مارين على شاشة التلفزيون بقيت أردد بصوت عال : « لا بد من وجود خطأ ما . لا يمكن أن يكون ذلك جوناثان . ليس جوننا . لا يمكن ان يكون . كان مثلنا مليئا بالحياة ، كان شديد القوة » .

وكان جوناثان قد دخل لتوة عامه السابع عشر .

قبل أشهر من تلك الحادثة ، كان جورج قد كتب لي :

« جون شقيق صغير ، بدأ في الابتعاد عن الحركة قليلا . لكنه ذكي ومخلص . انه في تلك السن الخطرة التي تدفع الفوضى فيها الاخوة اما الى متعهد الدفن أو الى السجن . انه أفضل بقليل مما كنت عليه ومن الاخوة في سنه . انه يتعلم بسرعة ، ويستطيع التمييز بين الحقيقة والمظهر . قولي للاخوةالا يتحدثوا عن عينيه الخضراوتين او لون بشرته الفاتحة. انه حساس جدا بسببها وهو اما سيتشاجر معهم أو ينسحب منهم . هل تفهمين ما اعني ؟ لقد سبب له ذلك الموضوع مشاكل كثيرة في السنوات القليلة الماضية . انه لا يستحق ذلك . فهو رجل ــ طفل أسود جميل ومخلص . اني أحبه » .

أما مشاعر جون تجاه جورج فقد ظلت كل شيء اخر في حياته . كان جون ما يزال في اولى مراحل شبابه ومع ذلك فهو ، كما اعتقد ، لم يكن في يوم من الايام طفلا حقيقيا . سرق المجتمع منه طفولته بعد أن وضعوا شقيقه خلف القضبان عندما أصبح قادرا على التفكير والتذكر .

ان السابعة ، هي السن التي يلعب فيها غالبية الاطفال بمسدسات بلاستيكية حمراء براقة تقذف الماء عندما يضغط عليها . ولكنه في السابعة ادرك ان المسدسات هي كبيرة الحجم في حقيقتها ورمادية اللون وانه عندما يتم سحبها من حزام حارس السجن ويضغط على زنادها لا تقذف دفقا عذبا من الماء . انما تقذف الطلقات النارية التي تجلب دفقات من الدم والموت . دون سن السابعة ، التقى جوناثان بجورج في خلال زيارات السجن فقط . رأى اخاه يعيش مع حقيقة الموت ، كل يوم ، كل ساعة وكل دقيقة .

في خلال الاشهر القليلة لصداقتنا ، لا أعتقد أنني قد أدركت كم كان شقيا بسبب خيبة ويأس العشرة أعوام الماضية ، بسبب العجز الرهيب أمام الجدران والقضبان والمسدسات وقاعات المحاكم تلك التي كان يترأسها قضاة بيض متحاملون .

الان وقد أطبق العدو على جون الذي حاول تلطيخ نظام السجن المخيف ، ذلك النظام البشع الذي يحرك شقيقه . كل اخوته واخواته ، يدور من حولهم ، يقلبهم ، يدور بهم بسرعة ثم بسرعة أكثر في فلك من الحقد والمأساة والوحشية . الان يجب علينا التفكير بشكل بناء .

في تلك الايام التي تلت حادثة التمرد ، حاولت تبرير ثورتي العمياء على مقتل جوناثان من أجل تحويل تلك الثورة الى شيء بناء . علمت بوجود وسيلة واحدة فقط للانتقام من موته وهي النضال ، **النضال السياسي عبر الجماهير والكفاح من أجل كافة السجناء خلف الجدران .**

والقتال مع العدو بتلك الطريقة كان لا يعني ترك جوناثان مرميا الى الابد على أسفلت الشارع، مستلقيا هناك بدمائه وكأنه كان المكان الذي ينتمي اليه . والقتال لا يعني انكار حقه الى الابد وحق كل الشبان من أمثاله ، وحق الذين لم يولدوا بعد في التمتع بجمال الجبال الخضراء بدلا من القضبان الرمادية الباردة . التمتع بروعة رحلة الى شاطىء البحر بدلا من الرحلة الموحشة الى غرفة الزيارات في السجن . طفولة مليئة بالابتسامات واللعب الحلوة واخوة كبار جميلين ، أقوياء وأحرار .

اليـد التـي بين الشمعـة والجـدار
تصبـح أكبـر علـى الجـدار
ربما قد يكون الامر أن لليد رغبة كي تصبح أكبر على الجدار
كـي تصبـح اكبـر واثقـل من الجدار نفسه
دالاس ستيفنز

الفصل الخامس

جدران

٢٢ كانون الاول ١٩٧٠

عندما حطت الطائرة في كاليفورنيا بعد رحلة استغرقت ١٢ ساعة عبر البلاد ، كان عدد الرجال المسلحين في الخارج يماثل العدد الذي كان موجودا في مطار الساحل الشرقي لمراقبة رحيلي . كان نواب (الشريف) ورجـال الشرطة ضائعين وسط مئات من الرجال ذوي البدلات الرسمية التي ترمز الى سلاح الطيران الامريكي . توزعوا في سائر ارجاء المكان واصطفوا على طول الطريق الذي سارت فيه السيارة أثناء مغادرتها للقاعدة الجوية .

بعد خمس عشرة دقيقة تقريبا ، وصلت السيارة الى المركز المدني لبلدة مارين ، دخلت في احدى مآرب السيارات ثم أغلق من خلفنا في الحال سياج

حديدي. رأيت في الطرف الاخر من السياج مجموعة من الناس وهم يهتفون بحماس : «الحرية لانجيلا ديفز وكافة السجناء السياسيين» أشرت بقبضتي بعلامة التضامن والاصفاد تقيد يداي .

وبالرغم من عدم تعرفي الى وجه واحد من بينهم ، فقد اثارتني هتافاتهم تماما كما حدث في يوم اعتقالي في نيويورك . وفي داخل المعتقل، مررت بالطقوس اياها : المعلومات . التصوير وبصمات الاصابع .

كان الاختلاف بين معتقل بلدة مارين ومعتقل النساء في نيويورك مدهشا . في نيويورك ، فوجئت بقذارة المكان أما هنا فكانت الممرات نظيفة الى درجة لا تصدق . بينما كانمعتقل نيويورك معتما وكئيبا كان هذا المعتقل مشرقا الى درجة مؤلمة . في زنزانتي في نيويورك كنت قد اعتدت على اللمبة الزجاجية ذات قوة ٦٠ واط وهنا تكاد عيناي تحترقان من شدة اضواء الفلوريسنت البراقة .

وفي خلال عملية تسجيلي كسجينة ، شاهدت مجموعة من أجهزة التلفزيون خلف المنضدة . كان المعتقل بأجمعه مغطى بشبكة تلفزيونية داخلية . قلت في نفسي « يا ترى هل سأجد الكاميرا في زنزانتي ! » .

سرت برفقة عدد من الحارسات عبر ممر ذي ابواب حديدية لا نوافذ لها فيما عدا فتحات صغيرة مربعة الحجم لاختلاس النظر الى داخلها . في نهاية الممر وجدت زنزانتين منفردتين منفصلتين عن بعضهما . اما كاميرا التلفزيون فكانت معلقة على السقف باتجاههما .

فتحت رئيسة المشرفات اخر الزنزانتين . عندما خطوت الى داخلها شعرت بالغضب لخضوع ارادتي لهم . وعندما اصبحت وحدي ، شعرت بشيء من الراحة لقدرتي على التفكير .

استلقيت على الفراش الضئيل وحاولت أن أتخيل ما يحدث في الطرف الاخر من الجدران . كنت متأكدة من مجيء جون أو ماركريت . وسرعان ما جاءت احدى المشرفات لتخبرني بقدوم المحامي . كنت اتوقع رؤية جون أو ماركريت . لحقت بها الى المكان المخصص لزيارات المحامين ، وهناك وجدت تيرينس كايولينان برفقة كارولين كريفن . (محررة في التلفزيون التربوي آنذاك . تمكنت من مقابلتي بصفة مساعدة قانونية . وعندما علمت ادارة السجن بكونها محررة للاخبار أيضا أصبح دخولها المعتقل مستحيلا .) . لم تدم مقابلتي لهما كثيرا . عدت بعدها الى زنزانتي . كانت الافكار تتسابق في ذهني ، كنت أفكر باخوتي في سان كوينتين . كنت أعلم أن سان كوينتين ، تلك القلعة القديمة التي تحيط بها

المياه ، ليست على مسافة بعيدة من هذا المكان . هل يعلم جورج بوجودي في كاليفورنيا . ربما سأتلقى منه رسالة ... وبواسطة تلك الافكار بدأت في التغلب على اليأس والوحدة التي كانت تهددني .

لم استطع النوم في تلك الليلة. وفي منتصف الليل تقريبا بددت الهدوء الشامل صرخات امرأة . أحسست بقلبي يخفق كعصفور خائف في قفص. وبين صرخاتها الدامية ، كانت المرأة ترجو : « اطلقوني الى الخارج . ابعدوني من هنا ! » . لم اكن قد تعودت على المكان ولذلك كان لتلك الصرخات وقع شديد علي . استمرت الصرخات التي كانت جد قريبة مني وكنت بلا حول أو قوة حيالها . ثم انسدلت الظلمة علي كغطاء كفن يغلق علي يومي الاول في معتقل بلدة مارين .

في صباح اليوم التالي ، وفي ساعة مبكرة اقتدت لمقابلة جون ماركريت . اتخذت الترتيبات الخاصة لتنظيم السجل الخاص بي والذي يتضمن اتهامي بالقتل ، الاختطاف والتآمر . أعلن القاضي بأنه وزملاءه من قضاة البلدة يعلنون رسميا عدم صلاحيتهم للعمل بسبب علاقتهم بالقاضي هيلي وان ذلك سيمنعهم من اصدار الاحكام بشكل موضوعي .

كان كل شيء في قاعة المحكمة يدل على النظافة . وخطر لي كم من النساء والرجال يرسلون منها الى زنزانات قذرة ! كم منهم يرسل الى الموت في غرف الغاز في سان كوينتين الذي يبعد مسافة شارع واحد من هذا المكان.

وكان المعتقل قد صمم بشكل دائري ليرمز الى طبيعة العدالة في الولايات المتحدة الاميريكية . لم يكن هناك شيء مشترك يجمعني بالرجال المسلحين في القاعة الدائرية . كنت ورفاقي واصدقائي ننظر اليهم كمنفذين للعبة قضائية. لعبة تتطور ضدنا. وكان علينا تحريك الجماهير أملنا الوحيد في النصر .

وبعد يومين ، عقدت اللجنة الوطنية المتحدة لتحرير انجيلا ديفز ، برئاسة شقيقتي فانيا ورفيقي فرانكلين ، اجتماعا خارج مبنى البلدية. كانت جدران زنزانتي أشد سمكا من هتافاتهم التي لم تستطع التسلل الي . لكنني مع ذلك احسست بوجودهم وشعرت بالسعادة والقوة .

●●

كان علي الاستعداد لمواجهة من اتهمونني . اقترحت تشكيل فريق قانوني للدفاع عني . وكان الشيء الهام بالنسبة لي آنذاك الحصول على

محامين يتفقون **على جعل قضيتي ، قضية سياسية والتعامل معها على ذلك الاساس وربط ما يدور في قاعة المحكمة بحركة الجماهير في الخارج .**

بعد اتصالات عديدة قامت بها ماركريت بمساعدة جون تم تشكيل الفريق القانوني اضافة اليهما من : هوارد مور ، آل بروتسكي ، ميشيل تايكر ودينيس روبرتس ثم انضم اليهم شيلدون أوتس .

بعد موافقة ادارة السجن على تخصيص غرفة اكبر لمقابلاتي بالمحامين كان علينا عدم الدخول في معارك صغيرة معهم وعدم تبديد طاقتنا في امور تافهة . وعندما كنت اذهب لمقابلة الفريق القانوني ، كان يرافقني عدد كبير من الحراس . تراءى لي انهم قد استنفروا نصف قوات الشرطة في البلدة من يصدق انهم كانوا يعتبرونني أشكل تهديدا كبيرا لهم ؟ لقد كانوا يحاولون الايحاء بكوني خطيرة الى درجة احتياجهم الى اكبر عدد ممكن من الحراس من أجل السيطرة علي . ماذا يعتقدون ! أيعتقدون انني ساحاول الهرب ؟ خطر لي ان هؤلاء الرجال اكثر خطورة من رجال قاعدة نيوجيرسي : انهم نفس الرجال الذين تعاملوا مع جوناثان الرجل ـ الطفل . لا بد وانهم يفكرون في حادثة التمرد تلك التي وقعت في ٧ آب . لا بد وان دوافع تصرفاتهم كانت مزيجا من الخجل والارتباك ورغبة عنيفة آسرة في الانتقام .

٥ / كانون الثاني / ١٩٧١

كنت في طريقي الى قاعة المحكمة ، حيث ستوجه الي تهمة القتل والاختطاف والتآمر بصورة رسمية من قبل سلطات ولاية كاليفورنيا .

عندما دخلت قاعة المحكمة ، سمعت تصفيقا حادا مثل الرعد . كادت عيناي تعميان من وهج (فلاش) الكاميرات والانوار البراقة. تطلعت بشكل مباشر نحو الجزء المخصص للحاضرين ، ثم رفعت قبضتي تحية لهم .

كان روشيل ماجي ، المتهم مقيدا بمجموعة كبيرة من السلاسل . ابتسمت له وكأنني بتلك الحركة كنت اود التعبير عن حبي له . رد روشيل ابتسامتي في الحال .

كان روشيل جالسا في الطرف الاخر من القاعة لابعادي عنه . كنت قلقة ومضطربة . وعندما قرأت في اليوم التالي صحيفة الكرونيكل الصادرة في سان فرانسيسكو أدركت أنهم قد بدأوا حملة متعمدة لوضعي في مواجهة روشيل . كانت المقالة قد بدأت : « دخلت انجيلا ديفز المتهمة بالقتل والتآمر بثقة الى قاعة محكمة بلدة مارين. رفعت قبضتها ثم اخبرت القاضي

فيما بعد : « انني بريئة من كافة الاتهامات » . وبعد اكثر من ١٥ فقرة من المقالة ، جاءت هذه الجملة : « فوجيء المشاهدون بدخول روشيل ماجي ، سجين سان كوينتين والمتهم بالتعاون مع الانسة ديفز » .

وفي ١٨ كانون الثاني ، كتب المحرر نفسه مقالة اخرى بدأت : « نادوا على روشيل ماجي المتهم في قضية انجيلا ديفز .... لقد القت من تسمى بالبطلة الجديدة لثورة السود ظلالا عليه » . ثم كتب : « ان كان ماجي ثوريا فقد أصبح كذلك بسبب بيئة السجن وليس بسبب اجتهاداته الذكية » .

بتلك الطريقة ، حاولت الصحافة ايجاد هوة بيني وبين روشيل أمام الراي العام . ولاحظت انهم قد تعمدوا اجراء مقارنة بيننا حتى في خلال حديثهم عن سيرة حياتنا: «دخل ماجي السجن وهو في سن السادسة عشر اي في تلك السن التي حصلت فيها انجيلا ديفز « ابنة عائلة من الطبقة الوسطى » على زمالة دراسية في جامعة براندیس ....

في السنوات التي أمضتها الانسة ديفز في الدراسة في الكلية ، قيامها برحلة الى أوروبا ثم استقرارها اخيرا في جامعة سان دييغو للحصول على الدكتوراه في الفلسفة تحت اشراف هيربرت ماركوز ، في خلال تلك السنوات نفسها ، درس ماجي كتب القانون في زنزانته » .

كان هدف كاتب المقالة القضاء على كافة مظاهر التضامن بيننا ـ الايحاء لكل من يؤيدني الى الوقوف ضد روشيل وبالعكس تماما . لكننا سنكون اكثر ذكاء منهم لان **الوحدة سبيلنا الوحيد الى النصر** . ان هذه المحاكمة لم تنعقد للنظر في حياتنا بل انعقدت بسبب كوننا سودا ، ولان كل واحد منا قد حاول وبطريقته الخاصة النضال ضد القوة المضطهدة لابناء شعبنا . لقد خطر لي كثيرا ، كم كنت محظوظة لانني كنت من اولئك الذين نجوا من المصير الاسوأ . فلو كان قد حدث تغير بسيط في مجرى حياتي لكنت اعيش اليوم في ظروف تسودها الفقر ، الامراض والجهل . ولذلك السبب لم اشعر يوما بحقي في ان انظر الى نفسي كانسانة تختلف عن بقية شقيقاتي واشقائي الذين تحملوا معاناة الحياة من اجلنا جميعا ومنهم روشيل .

كان روشيل من مواليد لويزيانا . عندما بلغ الثامنة عشر أتهم « بمحاولة الاعتداء » على فتاة بيضاء والقي به أثر ذلك في اصلاحية انجولا الرسمية .

بلغ روشيل مرحلة الشباب وهو خلف تلك القضبان . بعد ثمانية أعوام أعلمته السلطات باستطاعته مغادرة السجن ـ على شرط الحصول

على توقيع والدته لنقله الى ولاية اخرى . رحلا الى كاليفورنيا . بقي روشيل في شوارعها حرا لمدة لا تتجاوز السنة عندما القت شرطة لويس انجلس القبض عليه بتهمة اشتراكه في شجار تافه مع شقيق اخر . ونظرا لضخامة سجله ، لم يحملوا انفسهم مشقة تقديمه امام محكمة عادلة . كان النظام مسموما ضده . بل ان المحامي الذي عينته له المحكمة قدم طلبا قبل اجراء المحاكمة يرجو فيها « اسقاط الحكم عنه نظرا لجنونه . » عندما اغلقت الدعوى ، حكم على روشيل بالسجن مدى الحياة .

كان روشيل رمزا لنا جميعا ، ليس بسبب اعتباره ضحية للعنصرية بل بسبب مقاومته للهزيمة . المدارس في لويزيانا لم تعلمه القراءة والكتابة ولكنه وخلف قضبان كاليفورنيا تغلب على الامية . لقد قرأ كتبا مفيدة وأصبح خبيرا في القانون الى درجة تؤهله لكتابة ملاحظات عن قضيته التي طرحت في محاكم غير عادلة . لم يكن يستند الا على ارادته ومع ذلك اصبح ضليعا في القانون الى درجة دفعت بالمحكمة الى الاخذ بالاسس التي استند عليها في مناقشاته .

ومع ذلك ، اصدرت المحكمة في جولتها الثامنة ، امرا بمنعه من الاشتراك في الدفاع عن نفسه . لقد باعه ، وللمرة الثانية ، المحامي الذي عينته له المحكمة . ولم ينل اليأس من روشيل . استمر في كتابة حججه في تفنيد المحاكمة (ليس من اجل نفسه فقط بل من اجل اخوته ايضا .) وواصل في الوقت نفسه الكتابة الى كل واحد في الخارج كان يتوسم فيه استعدادا لمساعدته في كشف الظلم الذي لحق به .

ولم اكتشف الا في ذلك الوقت ، من انني كنت بين الذين كانوا قد تلقوا رسالة من روشيل . وقد علمت بالامر بعد ان قدمت الـ FBI تلك الرسالة الى المحكمة وكانت قد استولت عليها أثناء تفتيشها لشقتي . كانت الرسالة واحدة من مئات الرسائل التي كنت اتلقاها اسبوعيا خلال ازمتي مع الجامعة .

●●

كان قسم النساء في معتقل مارين قد صمم على افتراض ان عدد النساء المعتقلات سيكون قليلا في البلدة التي تعتبر من اغنى المناطق في البلاد . ولذلك كان مجموع الاسرة في قسم النساء لا يتجاوز الـ ١٧ سريرا بما في ذلك اسرة الحالات الانفرادية والمرضية .

بعد وصولي الى المعتقل ، بدأت خلافاتي مع المشرفات . كانت المتاعب تخلق لي بسبب اشياء تافهة جدا . اخبرت المحامين باوضاعي السيئة في المعتقل . احتجوا بدورهم لدى المسؤولين وانضم اليهم في الاحتجاج لجنة الدفاع الوطنية عن انجيلا ديفز .

ابدى المسؤولون عن معتقل بلدة مارين عزمهم على ابقائي في زنزانة . ومن اجل ذلك قدمنا طلبا للنظر في الامر . وكانت حجتهم مثل حجة نيويورك، انهم يخشون على حياتي من بقية النزيلات ، ربما قد حاول شخص ما ارتكاب جريمة من اجل الدخول الى المعتقل والانتقام للقاضي هيلي .

كان القاضي ، بدون شك ، مدركا لما يفعله . فهو لم يسمح لي « بالاختلاط » مع بقية السجينات لكنه أصدر اوامره للمسؤولين باتاحة التسهيلات لي من اجل مقابلة فريق المحامين .

تمت تلك التسهيلات « ضمن حدود الامن » ، وخلف سلسلة من الابواب الحديدية الالكترونية الثقيلة وضمن حدود شبكة تلفزيونية مغلقة .

خصصت زنزانة خلف احدى الابواب الحديدية ذات الفتحة المربعة مكانا لاجتماعي بالمحامين . في بادىء الامر ، كنت اذهب برفقة الحراس لمقابلة المحامين ، فيما بعد ، استطعنا اقناع القاضي بتخفيف القيود عني والسماح لي بالذهاب الى غرفة المحامين حتى في حالات عدم وجود المحامين فيها . ومن اسباب موافقة القاضي على ذلك الاقتراح هو قيامي بتقديم طلب له حول اعتباري احدى المستشارات في قضيتي وان ذلك يتطلب مني دراسة المواد القانونية . اعلن القاضي موافقته على استعمالي لتلك الغرفة كمكان للعمل في الساعات ما بين الثامنة صباحا والعاشرة مساء .

وبالرغم من انتصارنا في تلك المعركة الصغيرة ، فقد أصر السجانون على اثارة المشاكل امامي . ولا استطيع ان اقول بانني كنت قادرة على تجاهل تلك التصرفات ، لان بعضها كانت تثيرني حقا بينما كانت اشياء اخرى تدفعني الى الانفعال والغضب بشدة .

فمثلا ، كنت في ساعات الغذاء او العشاء انهمك في القراءة أو الكتابة واذا بالباب يفتح لتخبرني احدى المشرفات عن موعد الغذاء . كنت حينذاك اضطر الى ترك العمل والذهاب برفقتها الى زنزانتي لتناول الطعام. ولما انتهي من تناوله ، كنت اضطر الى الانتظار فترة طويلة قد تزيد على الساعة حتى مجيء المشرفة لتعيدني الى مكان العمل . في تلك الاوقات كنت افقد اعصابي تماما . أصرخ وأصرخ طالبة استدعائها . وكلما ازداد

صراخي شدة وحدة طال انتظاري . وعندما تأتي في النهاية تردد: «متأسفة، كنت مشغولة في اخذ بصمات سجينة جديدة» . وبمرور الايام ازدادت وطأة ذلك الوضع علي مما دفعني بعدها الى الاعتذار عن تناول الطعام في خلال الساعات التي كنت امارس فيها عملا هاما .

وفي خلال تلك الاشهر ، كانت زنزانة العمل مركزا لمعارك بيني وبين المشرفات . فمثلا اكتشفت رئيسة المشرفات من خلال مراقبتها لي انني كنت افضل الاستلقاء على السرير ومتابعة القراءة بذلك الوضع . فكان ان بادرت الى سحب فراش السرير من الزنزانة . كان الامر سيان لدي ، واصلت الاستلقاء على السرير ومتابعة القراءة .

اتعجب اليوم ، لماذا كنت اسمح لنفسي بالاهتمام بتلك الحوادث الصغيرة . كم يكون سهلا على المرء ان يفقد اعصابه عندما يكون سجينا وخاصة عندما يكون غير قادر على الاتصال بالآخرين الذين يشاركونه المصير . (واتساءل اليوم ، هل كان رد فعلي على تلك الحوادث التافهة مجرد وسيلة لي للبقاء ؟) .

لقد خشيت الوقوع تحت تأثير تلك الاشياء البسيطة لانني ، ان فعلت ذلك ، لكان السجانون قد استطاعوا السيطرة على عقلي .

وفي يوم من الايام ، أخطأ طبيب المعتقل في تشخيص نوع من الحكة الجلدية أصبت بها . وعلى أثر استعمالي للدواء الذي وصفه لي ، انتشر الطفح الجلدي في جسمي كله. طلبنا استدعاء طبيب من الخارج ، واستطاع بيرت صمول ، طبيب اسود ، تشخيص حالتي في الحال وكونها ناتجة بسبب الظروف اللاصحية في المعتقل . كان بيرت يزورني اسبوعيا للاستمرار في علاجي . وطوال فترة وجوده معي ، كانت احدى المشرفات تتولى مراقبتنا ، بل واكتشفنا مرة قيام احدى المشرفات بتسجيل كل كلمة كنا نتبادلها .

من بين المشرفات جميعا ، كانت واحدة منهن على قدر من الطيبة . كانت هادئة الكلام ، صغيرة السن وذات تجربة قليلة مع الشرطة . وفي احدى الليالي ، كانت تلك المشرفة تتولى الحراسة وحدها ، عندما صرخت احدى الشقيقات في القسم العام وقبل موعد اطفاء الانوار . « طبت مساء انجيلا . » وصرخت باقصى ما استطعت « طبت مساء » .

وفي خلال تلك الاشهر، واصلت المشرفة صمتها امام مناقشات وعلاقات الصداقة التي بدأت تتطور بيني وبين النساء السجينات اللواتي لم اكن قد رأيتهن ابدا واللواتي لم يكن لدي أمل في التعرف عليهن يوما . وفي اليوم

الذي تم فيه اسقاط تهمة القتل عن ايريكا وبوبي سيل ، في نيوهافن ، اقمنا احتفالا بالمناسبة . ومرة من المرات ، ناولتني المشرفة قطعتين من الحلوى كانت السجينات قد بعثنها هدية لي . عندما فتحت الاوراق الملفوفة ، اكتشفت وجود رسائل في طياتها .

●●

كان يوما الخميس والاحد قد خصصا لزيارات النساء في المعتقل . وفي خلال الاشهر الستة الاولى ، كنت اتلقى زياراتي بعد انتهاء الزيارات المخصصة للنسوة الاخريات . كانت الفترة المخصصة للزيارات قصيرة جدا بحيث لم اكن استطيع في خلالها تبادل الحديث مع الاشخاص ذوي العلاقة بالقضية .

بعد تقديمنا التماسا مستندا على حجج قانونية قوية ، وافق القاضي اخيرا على السماح لي باستقبال الاشخاص ذوي العلاقة بمتابعة قضيتي .

وفي غرفة العمل ، كنت التقي بكل من : فرانكلين وكيندرا ، فانيا ، شارلين ، كاسندرا ديفز وبيتينا آبثيكير .

كنت قد التقيت ببيتينا للمرة الاولى في نيويورك في مرحلة الدراسة الثانوية . كانت بيتينا حينذاك في قيادة المتقدمين (منظمة الشباب) التي انضممت اليها والتي كانت ذات علاقات بالحزب الشيوعي . كان والدها ، هيربرت آبثيكير ، مديرا لمعهد الدراسات الماركسية وقد استفدت من محاضراته كثيرا .

في عام ١٩٦٤ ، برزت بيتينا كواحدة من ابرز قادة حركة بيركلي للمنبر الحر والتي مهدت الطريق لانفجار تمرد الطلبة في الستينات . وفي الوقت الذي تم فيه نقلي الى كاليفورنيا ، كانت بيتينا تعيش في سان جوزيه وكانت على وشك الانتهاء من تأليف كتابها « الثورة الاكاديمية » . وقد قررت تخصيص اكبر جزء من وقتها للعمل في اللجنة الوطنية المتحدة للدفاع عن انجيلا ديفز .

في خلال زياراتها لي ، اخبرتني بيتينا عن نية لجنة الدفاع عني في انكلترا لطبع كتاب يتناول كل ما كتب عني وعن الحركة التي تطالب باطلاق سراحي .. وكانت اللجنة قد طلبت جمع المواد المناسبة ليتسنى لها اختيار المناسب منها للكتاب .

بعد مناقشة الامر ، اتفقنا على قيام لجنتنا باصدار الكتاب المذكور

كي يكون اكثر دقة .

في اثناء الاعداد للكتاب ، كررت التأكيد على نقطة واحدة هامة وهي عد تناول قضيتي بشكل خاص بل تقديم قضايا السجناء السياسيين على السواء . واضافة الى وجود عشرات السجناء السياسيين ، كان هناك عدة الوف من الاخوات والاخوة خلف القضبان لا لشيء الا بسبب كونهم من السود أو من السمر .

اخيرا ، وبعد اشهر من العمل المرهق ، انتهينا من الكتاب . وقد ساهم في كتابته كل من : جورج ، جون ، فليتا ، روشيل اضافة الى بوبي وايريكا . كتب كل من هوارد وماركريت عن النواحي القانونية للقضية ، اما فانيا ، فرانكلين وكيندرا فقد كتبوا عن الحركة الجماهيرية .

آثرنا ان يستهل الكتاب برسالة كان جيمس بالدوين قد بعثها لي : « يدرك قسم منا ، بيضا او سودا ، كم من ثمن فادح قد دفع حتى اليوم من اجل خلق جديد في الوجود وشعب جديد ايضا . ان كنا نعلم ، ولا نعمل شيئا ، فاننا نكون أسوأ من القتلة المأجورين بأسمائنا . ان كنا نعلم ، فان الواجب يحتم علينا عند ذاك ان نحارب من اجل حياتك وكأنها حياتنا ــ التي هي فعلا كذلك ــ وان نجعل الطريق المؤدي الى غرفة الغاز مستحيلا بأجسادنا . لانهم ان أخذوك في الصباح ، فانهم سيكونون قادمين الينا في الليل . » .. كما اخترنا للكتاب عنوانا مؤثرا وهو ، « ان جاؤوا في الصباح » .

كان طبع الكتاب حدثا هاما بالنسبة الينا ــ كافة من كانوا خلف الجدران ــ ومن اكثر الاشياء التي تأثرت بها ، قول روشيل بان كتاب « ان جاؤوا في الصباح » والذي تضمن جزءا كبيرا من حقائق عن حياته وقضيته ، قد كشف ظلم الدولة له اكثر من أي شيء آخر .

في شهر حزيران ، ناقش هوارد موضوع اطلاق سراحي بناء على كفالة معينة . كانت آمال الجميع مرتفعة ــ فيما عداي . بل ان فرانكلين وكيندرا كانا يحاولان التخفيف عني بقولهما من انني سأكون حرة في اليوم التالي .

عندما رفض القاضي الجديد ، ريجارد آرناسون ، ذلك الطلب ، لم افاجأ به بينما خابت آمال الجميع لدى الاستماع اليه . وبعد اعلان رفضه موضوع الكفالة ، اعلن موافقته على اشتراكي في الاستشارات القانونية للقضية وعلى توفير ظروف افضل لي في حدود زنزانة المعتقل .

كانت التسهيلات الجديدة ، السماح لي باستخدام آلة طابعة وجهاز

راديو اسوة بالنساء الاخريات . بل انه اضافة الى ذلك سمح لي بقضاء فترات محدودة قصيرة في قسم النساء العام .

اكتشفت تشابه الاوضاع في قسم النساء في معتقل مارين وقسم النساء في معتقل نيويورك . واكتشفت عند ذلك مدى أهمية مقاومة الفرد لكافة تيارات السجن التي تستهدف القضاء على حياة السجين .

٨ تموز ١٩٧١

سرت وهوارد وجون ثورن خلف السجانين عبرأروقة السجناء المضيئة والى زنزانة للانتظار كانت على مقربة من قاعة المحكمة . كانت الزنزانة كمثيلاتها مع وجود اختلاف واحد وهو ان الجزء العلوي لاحد جدرانها كان مصنوعا من الزجاج .

كان علي أن أتوقع ما سيحدث . لكن الاصوات الناتجة عن اصطدام قطع الحديد ببعضها قد نجحت في أثارتي . اصوات السلاسل ، المفاتيح ، الاصفاد والتي سمعتها للمرة الاولى في قاعة ساليناس قد اصبحت مألوفة لي الان . وفي الطرف الاخر للجدار الزجاجي ، كان جورج يهبط درجات السلم متوجها الى اجتماع لنا مع المحامين قد يدوم يوما كاملا .

بسبب اعتباري مشاركة في الاستشارات القانونية ، أصدر القاضي أمرا بعقد ذلك الاجتماع بيني وبين كل واحد من الاخوة سوليداد ومع روشيل . بعد ايام عديدة ، كتبت لجورج عن انطباعاتي عن تلك اللحظات :

« هناك مشهد قد تجمد في ذاكرتي : انني واقفة في الزنزانة المكعبة الصغيرة ذات الواجهة الزجاجية . واقفة في الانتظار وكلي حب ورغبة وشوق . ثم انتابني غضب بارد وحار لدى سماعي دمدمة السلاسل عندما بدأت نزول ذلك السلم ببطء .. كان من المفروض علي قطع تلك السلاسل، كان من المفروض علي محاربة اعدائك بجسدي . لكنني بلا حول وبلا قوة . انني احتفظ بالغضب في داخلي . لا لن افعل شيئا . انني أقف هناك اتطلع اليك ، مرغمة على تمثيل دور المشاهد غير المهتم . رأيت ذلك المشهد كله عبر الزجاج كما لو كنتفي المختبر . اجن غيظا عليهم واجن غيظا على نفسي لعدم مقدرتي على العمل ، واجن غيظا على نفسي مرة اخرى لانني لم استطع التوهم من انك لا تعاني من شيء . كنت تهبط تلك الدرجات ببطء واحدة بعد اخرى تحيط بك السلاسل الثقيلة والخنازير .. كان جسدك كله يتعذب من جراء كل حركة لقدمك بسبب تلك السلاسل الحديدية ... » .

عندما خرج جورج من الغرفة واكتشف وجودنا فيها ، اختفى الانقباض في الحال عن وجهه . ابتسم ابتسامة كنت ما ازال اتذكرها منذ يوم سالیناس .. وتلقائيا ، كانت حركته الاولى محاولة عناقي . كان قد نسي ان رسغيه قد قيدتا الى وسطه . وبواسطة يداي الطليقتان (لم تكونا مقيدتين في هذه المرة) حاولت مساعدته في ذلك .

كانت الساعات الثمانية غير كافية بالنسبة الينا . تحدثنا عن استراتيجيتنا في الدفاع ، وتحدثنا عن احتمال اشتراك جورج كشاهد دفاع عني في اثناء المحاكمة . كان واثقا من انتصارنا . اخبرته ان هدفنا يجب ان يكون تحقيق الانتصار لكلينا وللجميع .

كان هناك اجتماع طويل آخر مع روشيل . وبالرغم من اتفاقنا على طريقة توجهنا السياسي فاننا لم نتفق على عدد من النقاط القانونية التي يجب طرحها . كان روشيل يفضل اخضاع المحاكمة لنظام المحاكم الفيدرالية بينما فضلت اخضاعها لنظام محاكم ولاية كاليفورنيا .

وفي خلال الاشهر العديدة للجلسات التي سبقت المحاكمة ، بحثت باستمرار مع روشيل ذلك الامر . كنت افضل توحيد محاكمتينا ومن اجل ذلك الموقف رفضت في صلابة الخضوع لكافة الضغوط علي . وعندما اصر روشيل على موقفه ، وافقت على تقديم طلب لجعل المحاكمة فيدرالية . رفضت المحكمة ذلك الطلب واعلن روشيل عن عزمه على استئنافه ولم اجد بدا من الافتراق عنه .

٢١ آب ١٩٧١

كنت في غرفة المحامين الصغيرة مع بيتينا وهوارد عندما دخلت احدى المشرفات لتطلب منهما مغادرة المكان بسبب اعلان حالة الطوارىء في المعتقل .

عادت المشرفة بعد فترة طويلة لترافقني الى زنزانتي . لم ادر كم من الساعات انقضت وانا مستلقية على السرير الحديدي، احدق في السقف وافكار شتى تتصارع في ذهني بوحشية . كان الوقت متأخرا عندما عادت المشرفة لتقول : « السيد مور في انتظارك . » سرت خلفها .. ولما انتهينا الى نهاية الرواق ، رأيت ماركريت وهوارد في انتظاري امام زنزانة العمل .

كانت عينا ماركريت حمراوتين ومنتفختين وعلامات يأس مرتسمة على وجهها . كان العرق يتصبب بغزارة من هوارد والتجاعيد تملأ كل جبهته ، وانفاسه تتصاعد بقوة وكأن التعب قد نال منه تماما . نظرت اليهما وانا أحس بشيء ما يتسلل مني . جلسنا في الزنزانة المغلقة علينا والهدوء يلفنا . كنت في خلال الساعات المنصرمة الاخيرة احاول مقاومة الافكار التي كانت تتزاحم في ذهني عن احتمال حدوث انفجار ما في سان كوينتين. كنت اصرخ في داخلي : « لا تدعوا ذلك الشيء يحدث لجورج . » وكلما صرخت الاصوات في داخلي ، كلما اخبرتني وجوههم عن حدوث ذلك الشيء فعلا .

« جورج » ؟ سألت دون ان اقول اي شيء بشكل مباشر .
اومأ هوارد برأسه .
قلت « انه لم .... » .
اطرق هوارد وهو يدمدم بصوت خافت جدا « نعم » .

استطعت الامساك بماركريت التي انخرطت في البكاء . أحسست وكأنني قد تجمدت في مكاني . لم اكن قادرة على تكوين الكلمات في فمي ، غير قادرة على دفع الدموع الى عيني . وكأنما قد وضعت في قالب من الثلج . « انجيلا .. لقد قتلوه الخنازير » ... تسلل الي صوت هوارد وكأنه آت من بعيد .. « لقد قتلوه .. اطلقوا النار عليه من الخلف » .

وفي زنزانتي ، استيقظت من الكابوس المتجمد لاواجه حقيقة مقتل جورج . وهناك ، وفي الظلمة ، بكيت .

تذكرت جورجيا ، روبرت ، فرانسيس ، ديلولا وكافة اقارب جورج. لقد كان عليهم الاحتفال بذكرى جوناثان الاولى بتلك الطريقة .

كان جورج رمزا لارادة كل واحد منا خلف القضبان ورمزا لتلك القوة التي توحد بين الناس المضطهدين .

لا بد وان كافة سجناء البلاد ، نساءا ورجالا ، لا يستطيعون النوم في هذه الليلة . من المحتمل انهم يبكون الآن ويحاولون توجيه غضبهم الى شيء بناء . لا بد وان الناس في شتى انحاء العالم يتحدثون الآن عن الانتقام .

وفي اليوم التالي ، زارني في المعتقل اكبر عدد ممكن من الاخوة

والاخوات . تحدثت كيندرا عن ضرورة فتح تحقيق حول مقتل جورج .

بعد مغادرتهم حاولت كتابة بيان للصحافة . وكتبت : « ان جورج بشجاعته وتحمله عذاب سبع سنوات من السجن الانفرادي ومقاومته للاضطهاد سيكون مصدرا للوحي بالنسبة لنا جميعا .

ومقتل جورج بالنسبة لي ، يعني خسارة رفيق وقائد ثوري . ويعني ايضا خسارة حب كبير لا يمكن تعويضه .... انني لا استطيع ان اقول غير انني في استمراري في حبه سأحاول التعبير عن ذلك الحب بالطريقة التي كان يريدها حتما ـ بالاصرار اكثر على النضال من اجل القضية التي قتل من اجل الدفاع عنها » .

في خلال ذلك اليوم كله ، واصلت محطات الاذاعة قراءة مقتطفات من كتاب جورج وبدأت تلك المحطات تنسج قصة جورج والتي كانت قد أعدت مسبقا . كانت القصة تقول ، ان جورج قد تمكن من تهريب مسدس كبير الى السجن . و ....

مات جورج ، وكانت آلامي العميقة قادرة على القضاء علي لو لم ادفعها الى الاتجاه المناسب . كان الحزن الذاتي في تلك الزنزانة الرمادية وتحت اعين السجانين المليئة بالكراهية ، قادرا على تحطيم ارادتي القوية ودفعي الى الانحناء على ركبتي امامهم . ان مقتله سيجدد حقدي تجاههم وتجاه النظام العنصري . ان مقتله سيمنحني الشجاعة التي كنت في حاجة اليها للنضال ضد العنصرية التي قتلته . لقد ذهب فهو ، لكنني ما زلت هنا ، واصبحت أحلامه : أحلامي انا .

٣ آب ١٩٧١

على المنصة ، كان القاضي كيتينك يبدو سخيفا الى درجة الاشفاق عليه . طلب منا التعبير عن آرائنا حول المحلفين الذين كان قد تم اختيارهم . كان جوابنا ان المحلفين لا ينتمون الى السود باية صلة او الى الطبقة العاملة، وان اختيارهم لن يكون موضوعيا . وعندما طلبت من القاضي موافقته على انضمام عدد من اعضاء حزب الفهود السود الى المحلفين قال : « انهم عنصريون مثل ادولف هتلر . انهم يدافعون عن الحقد والقسوة والقتل . وان ذلك ينطبق على اعضاء الحزب الشيوعي ايضا » .

كانت تلك الاحكام دليلا قاطعا على مدى تحيز محكمة تلك البلدة . كيف يمكن اجراء محاكمتي في هذا المكان . بدأنا في الاستعداد لتقديم

طلب لتغيير مكان انعقاد المحكمة ، وقلنا في طلبنا ، انه استنادا الى اقتناع غالبية سكان البلدة وهم من الاثرياء البيض بادانتي مسبقا فان الضرورة تقتضي اجراء المحاكمة في مكان آخر .

كان طلبنا يستند على نقاط قانونية هامة ولم يكن امام القضاء الا الموافقة عليه واحالته الى سان جوزيه .

٢ كانون الاول ١٩٧١

كانت الرحلة الى سان جوزيه أطول مما كنت اتوقع . ادركت انهم يتخذون الطريق الاطول من اجل ما سمي بـ « الاسباب الامنية » . كنت آمل رؤية سان فرانسيسكو او بيركلي ، لكن الطريق كان خاليا من اي شيء .

وكما حدث مع الـ F B I وفي معتقل النساء في نيويورك وكما في معتقل بلدة مارين ، واجهت في معتقل سانتاكلارا الاجراءات الروتينية نفسها : الاسم .. العنوان .. العمر وبصمات الاصابع . هل سيأتي ذلك اليوم الذي يتم فيه اخراجي من هذه المعتقلات ؟ بعد عملية التسجيل كان لي حق اجراء مكالمتين هاتفيتين . اتصلت باسرتي واخبرتهم بمكاني الجديد واتصلت ايضا بالمحامين عني .

ذهبت مع احدى المشرفات الى واحدة من اكثر الزنزانات بشاعة وضيقا حيث طلبت مني خلع ملابسي . سلمتني ثوبا ، بيجاما ، بلوزة ، زوجان من الملابس الداخلية ، سوتيان ، بعض الجراريب . وزوجا من النعال الاسفنجي .

تشترك السجانات في شيء واحد وهو استمتاعهن بمنظر السجينة وهي تخلع ثيابها وتعري جسدها . حتى اللواتي لا يشعرون بالشذوذ الجنسي . كانت تلك المشرفة تراقبني في لذة ، وعندما سألتها عن الشيء الذي يثير سرورها ، نظرت الي في ارتباك ثم غادرت المكان .

كان الثوب الباهت اللون ضيقا جدا وقصيرا جدا ، البلوزة الرمادية لم تصل وسطي ، اكمامها توقفت عند منتصف ذراعي . لم استطع ارتداء جواريب الاطفال في قدمي او حتى النعال .

كانت الزنزانة باردة جدا . لم تكن باردة فقط بل كان التواليت ينضح بالماء . وفي ثوب الاطفال وبقدمي العاريتين كنت على وشك التجمد .. قفزت فوق السرير الحديدي وسحبت بطانية الجيش حول كتفي ثم حاولت

تركيز أفكاري في الكتاب الذي كنت أقراه » .

عندما حضرت ماركريت وراتني في تلك الحالة القريبة من « التجمد الصامت قالت : » لا بد وانهم يمزحون معنا ، لقد رأيت معتقلات كثيرة ولكن هذا المعتقل يتفوق عليهم جميعا .

بدأنا في رسم تخطيط للزنزانة . كنا نريد نقلها الى الصحف واثارة حملة كبيرة ضد المسؤولين في المعتقل . وبواسطة تلك الحملة ، عرف الناس في كافة انحاء البلاد بالظروف التي تسود زنزانتي . وفي خلال بضع ساعات من بدء تلك الحملة بدات ادارة المعتقل ومكتب (الشريف) في تلقي سيل من المكالمات الهاتفية والبرقيات احتجاجا على سوء معاملتهم لي.

استجاب الشريف الذي يعتبر نفسه ليبراليا لتلك النداءات وأصدر أمرا باجراء بعض التغييرات . ولم تحدث تغييرات محسوسة مثل التدفئة ، الملابس ، الحذاء ، بل تغيرت طريقة معاملة السجانين ايضا . كما سمح لي باقتناء جهاز تلفزيون في الزنزانة اضافة الى موافقتهم على الاحتفاظ بجهاز الراديو والآلة الكاتبة التي كنت استعملها في مارين .

اصبحت الزنزانة في حالة افضل وخاصة بعد ان فتح لي المسؤولون باب الزنزانة المجاورة لاستعمالها . وهكذا اصبحت امتلك ما اطلقت عليه دعايات المحكمة بـ « جناح ذي غرفتين » .

في خلال تلك الايام ، وعندما تحسنت اوضاعي في المعتقل احسست بالحزن لان تلك التغييرات قد شملتني وحدي دون بقية الاخوة والاخوات. كنت افكر في أوضاع روشيل ، فليتا ، جون ، لويز ، ويلي تيت وغيرهم . اخذت في التخفيف عن كاهلي بايجاد علاقات بيني وبين كافة الاخوات والاخوة في سجون البلاد. اصبحت امضي احيانا اربع ساعات يوميا في الاجابة على رسائلهم . واحسست في ذلك الوقت ، اكثر من اي وقت آخر بمدى حاجتي الى تقوية علاقاتي مع كل سجين في البلاد . وقررت في ذلك الوقت انني لو اصبحت حرة فساكرس حياتي للدفاع عن قضية اولئك الاخوة والاخوات القابعين خلف جدران السجون .

عندما تم نقلي الى سانتاكلارا ، كان علينا تشكيل الفريق القانوني للقضية بأسرع فترة ممكنة . اتصلنا بالمحامي ليوبرانتون بسبب جرأته في الدفاع عن الشيوعيين خلال محاكمات قانون سميث . ابدى ليو استعداده للعمل معنا بالرغم من ارتباطه بقضايا متعددة .

بعد ذلك ، بدأت في حضور جلسات التحقيق التي تسبق المحاكمة

بصورة دائمة . وكان المسؤولون يؤكدون اصرارهم على ضرورة القيام بتلك الرحلة التي لا تتجاوز العشرة دقائق قبل موعدها بثلاث ساعات . كنت اذهب يوميا الى المحكمة في موكب كبير يبدأ في التحرك في الخامسة والنصف صباحا . سيارة كبيرة للحراس ، تليها قافلة من السيارات ثم السيارة التي كانت تقلني ووراءها قافلة اخرى من السيارات اضافة الى وجود سيارة اضافية تسير على جانب الطريق .

في ساعة مبكرة من صباح يوم من الايام ، وبينما كنت ارتدي ملابسي لواحدة من رحلات الفجر تلك ، فتحت الراديو كعادتي وسمعت : « صوتت المحكمة العليا لولاية كاليفورنيا في صالح الغاء حكم الاعدام لتضمنه القسوة ولكونه امرا غير اعتيادي واعتباره بالتالي غير دستوري . » لم اصدق ما سمعته . طارت أفكاري في تلك اللحظة الى الاخوة في سان كوينتين . لن يحكم بعد الآن على روشيل بالموت في غرفة الغاز القريبة جدا من زنزانته . جون كلوشيت لن يتعرض للقتل . فليتا ، عزيزي فليتا لن يفقد حياته بسبب اقراص السيانيد المذابة في الحامض تحت كرسي الموت . الولاية لن تستطيع بعد اليوم انتزاع المزيد من حياتهم .

دخلت ماركريت. كانت على وشك ان ترقص فرحا . احتضنا بعضنا. قلت انني في ذلك اليوم لن ابالي حتى ولو كانوا قد وضعوني في قسم السجناء الذين ينتظرون الموت في سان كوينتين .

قالت ماركريت ، ان هوارد قد بدأ يستعد لتقديم طلب لاطلاق سراحي بكفالة في ذلك اليوم » .

سألتها « اية كفالة » ؟

نظرت الي ماركريت في دهشة « انجيلا .. لقد تم الغاء حكم الموت . الا تعلمين بان هذه الخطوة ستقضي على كافة الاسباب التي استند عليها القاضي آرناسون في رفضه للطلب . يجب اطلاق سراحك الآن » .

كنت قد نسيت موضوع الكفالة .. وعندما انتهت ماركريت من حديثها ضحكت بشدة وبشكل لم أعرفه منذ ستة عشر شهرا .

واضافت ماركريت : « لقد وافق القاضي على اعادة النظر في الكفالة . ويحاول اعضاء لجنة الدفاع الآن جمع مبلغ الكفالة في اسرع وقت ممكن » .

قلت : « لن يطلق القاضي سراحي بعد كل هذه الاشهر . ليس اليوم. انتظري قليلا وسيجد ثغرة في مكان ما » .

دخلنا قاعة المحكمة للاستماع الى الحكم بصدد الكفالة . كنت قد

تخيلت مشاهد سيناريو تلك الجلسة . سيحاول آرناسون ان يكون قاضيا عادلا ، سيوافق على اعادة النظر في حكمه السابق لكنه سيطلب عقد جلسة اخرى . وفي تلك الفترة الزمنية سيعود الى كتبه القانونية ، ويقرأ قرار المحكمة العليا الف مرة لايجاد ثغرة ما ، ثم يعلن اسفه البالغ لان القانون يمنعه من اطلاق سراحي بكفالة .

عندما قدم هوارد طلبنا من اجل اطلاق سراحي بكفالة ، انتظر المحامون جواب القاضي طويلا . واخيرا كان الجواب مثلما توقعته تماما . لقد حدد القاضي يوما للنظر في الموضوع . قال انه في حاجة لدراسة قرار المحكمة العليا وان المدعي العام في حاجة الى بعض الوقت لاعداد أجوبته على مناقشاتنا .

٢٣ شباط ١٩٧١ .

تحدد يوم الاربعاء للنظر في موضوع اطلاق سراحي بكفالة . اراد القاضي جعل جلسة المحكمة مغلقة واصر المحامون على جعلها مفتوحة . واخيرا قال القاضي انه سيوافق على اقتراح المحامين لكنه سيضطر عند ذلك الى تأجيلها فترة من الزمن .

استمر كل من كيندرا وفرانكلين في اقناعي بحتمية اطلاق سراحي في هذه المرة . بل ان جميع من كنت اعرفه طلب مني تهيئة حاجياتي استعدادا لمغادرة المكان لدى سماعي الحكم .

رفضت القيام بأية حركة تنبىء المسؤولين في المعتقل باعتقادي حقا في صدور الحكم لصالحي . تذكرت بحزن كبير ، شماتة المشرفات في معتقل مارين بعد ان رفض القاضي اطلاق سراحي بكفالة في شهر حزيران الماضي .

اخيرا ، وانا ارتجف توترا ، مددت يدي للاصفاد كي اقتاد الى المحكمة عبر الابواب الحديدية . كنت أحس بكل حركة اقوم بها . في خلال رحلاتي الى قاعة المحكمة كنت احيانا أشعر بنوع من السعادة وانا أرى مشهد الاطفال وهم يلعبون في الشوارع . وفي بعض الاحيان كنت اراقب الحزن على وجوه الخادمات السوداوات وهن في طريقهن للعمل من اجل الاغنياء . كنت اشاهد باستمرار مطار موفيت الذي تقلع منه الطائرات الامريكية لتقتل شعوب لاوس ، فيتنام وكمبوديا .

ربما سأرى هذه المشاهد للمرة الاخيرة . لم استطع اقناع نفسي بذلك . كنت أحس وكأنني أسير على حبل متوتر ومشدود . حاولت

الاحتفاظ بتوازني . واصلت السير وعيناي مشدودتان نحو خط الوسط بين التفاؤل التام والتشاؤم الاسود . كان علي السير فوق الحبل فترة أطـــول .

لم يدل منظر القاضي على القرار الذي سينطق به . وبسبب ذلـك لم نستطع ان نمنع انفسنا من اطلاق صيحات النصر لدى استماعنا الـــى قراره . اوشكت الاشهر الستة عشر على الانتهاء .

ناقش المحامون شروط الكفالة مع القاضي . وكنت أتساءل مع نفسي عن السبب الذي دفع بالقاضي الى اطلاق سراحي . لم يكن قرار المحكمـة العليا دافعا لها .

لم يكن بسبب القاضي

ولم يكن ايضا بسبب القانون .

كان هناك تفسير واحد للامر . بل ان القاضي نفسه لمح لي في كلامه عن الدافع الى اطلاق سراحي .

تحدث القاضي عن الرسائل التي انهالت عليه . تحدث عن النداءات التلفونية من عدد كبير من الولايات وعن البرقيات التي وردت مـــن دول اجنبية . كان الدافع الى اطلاق سراحي هو حملة الدفاع الكبيرة التـــي نظمت من اجلي واشتراك الملايين من الناس في الدفاع عني .

اعلن آرناسون ان الدفاع والادعاء العام قد اتفقا على تحديد مبلـــغ الكفالة بـ (١٠٢٥٠٠) دولار ، يدفع منها نقدا ٢٥٠٠ دولار . كما أصر الادعاء العام على شرط عدم قيامي بالاشتراك في أي نشاط تشرف عليه اللجنة الوطنية المتحدة للدفاع عن انجيلا ديفز .

في خارج المحكمة ، كان قد احتشد عدد كبير من الاخوة والاخوات في انتظار القرار . فجأة علا في الجو هدير ضخم . هتافات . صيحات . ضحكات . ولدى سماعي لذلك كله ، انفجرت المشاعر التي حرصت على كبتها حتى ذلك الوقت .

كان علينا بعد ذلك تدبير مبلغ الكفالة. استطاعت اللجنة تسليم القاضي في الحال مبلغ ٢٥٠٠ دولار اضافة الى ١٠،٠٠٠ دولار وهي مقدار الضريبة المحددة وكان ما تبقى من المبلغ ١٠،٠٠٠ دولار .

ولدى عودتي الى الزنزانة جاءني فرانكلين ليطلب مني مغادرة المكان فـي الحـــال .

ماذا يريد ان يقول .. ومبلغ الـ ١٠،٠٠٠ دولار ؟

اخبرني هوارد ان احد الاشخاص قد وافق على وضع كافة ممتلكاتـه

الضمان كفالتي . وكان ذلك الشخص مزارعا ابيض اللون من بلدة (مزينزو)
كان بودي ان اصرخ بأعلى صوتي كي اعلن عن فرحتي . نزعت عنـ ملابس السجن القبيحة . ارتديت بنطالا وردي اللون . كانت يداي ترتجفا وانا احاول ارتداءه . وبعد لحظات كنت في غرفة التسجيل في انتظار ار يقوم السجانون بضغط الازرار لدفعي الى الخارج .
انفتح الباب الاول بهدوء . خطوة واحدة وباب آخر . كنت انتظـ خلفه متى يتم انغلاق الباب الاول برنته الكريهة . انها المرة الاخيـــرة خطوت نحو الباب الثاني الذي بدأ ينفتح امامي، ثم استقبلني الناس بهتافا كالرعد .
عانقت أول شخص قابلني ، ريغو ، احد الاخوة مـن لـوس انجلس كنت اريد احتضان كافة الاخوات والاخوة ، لكننا آثرنا مغادرة المكان بسرعة عندما سرت اولى خطواتي نحو الحرية ، ضحكت ، صرخت وقبلت ماركريت في السيارة . ها اننا بلا حراس ، بلا سيارات الشرطة ، وبلا اصفاد . قال احدهم « لقد اجتمع الجميع لدى بيتينا وجاك » .
كان في المنزل كافة اعضاء المجلس الوطني ، قادة ومسؤولو لجنـ سان جوزيه وأعضاء لجان المناطق المختلفة . وطوال تلك الليلة لم ينقطـ سيل الزوار عن المنزل . وفي خلال ذلك تحدثت مع والدي وكنت اشعـــر بسعادة بالغة بعد ان وضعت حدا لآلامهـم . ثم اتصلـت بشقيقتي بينـــي وشارلين في نيويورك ، هنري وينستون (رئيس الحزب الشيوعـــي) ، جوس جول (السكرتير العام) واللذان عملا معا لايصال الحملة الى العالم .
في الليل ، جاء فرانكلين ليخبرني عن تجمع مئات المواطنين في مركـز التضامن / مكتب لجنة سان جوزيه للاحتفال . كانوا ينتظرونني بفـــارغ الصبر . وقعت في حيرة من امري . هل أذهب للقاء الذين عملوا من اجلي طويلا أم كان علي اطاعة المحكمة . فضلت الالتقاء بالجماهير . ومع الجماهير لن اشعر أبدا بالوحدة .
لما دخلنا مركز التضامن ، انفجر الحاضرون في تصفيق حاد ، تصفيق انساني لكل ما قد عانيته في السجن طوال الـ ١٨ شهرا المنصرمة .

●●

تم اتفاقنا على انتقالي الى منزل بوب وباربـرا ليندساي والذي قـــد خصص لسكن ماركريت طوال اقامتها في سان جوزيه . لم استطع النـوم

في تلك الليلة . امضيت ساعات طويلة في التفكير . تذكرت المعتقل ، حقد المشرفات ، الحراس والجو العدائي الذي يلف كل من فيه .

٢٤ شباط

كنت اريد تمضية ذلك الصباح في الاستمتاع بالامور الصغير ، مستلقية على حشائش الحديقة الخلفية للمنزل ، مستمتعة باشعة الشمس الدافئة التي افتقدتها في المعتقل ، اراقب الغيوم واستمع الى أصوات الصغار . ومع ذلك كان علي مواجهة رجال الصحافة واجهزة الاعلام التي تخاطب الملايين من الناس .

في تلك اللحظة ، اعلن جرس الباب قدوم فانيا . كانت قد بذلت جهدا كبيرا في الحملة وسافرت الى بلدان عديدة بحيث انها لم تكن في سانتا كلارا لدى اطلاق سراحي . احتضنت الواحدة منا الاخرى واجهشنا في البكاء فرحا .

كان موعد وصول الطائرة التي تقل والدتي قد اقترب . لقد تعذبت طوال فترة اعتقالي . وفي لحظة نزولها من الطائرة رأيت اشراقة عذبة تعلو وجهها . وفي بضعة لحظات كانت كل واحدة منا تحتضن الاخرى دون وجود الحراس في هذه المرة .

في خلال الغذاء ، وبعد ان تناولنا الانخاب (أقصى ما استطيع شربه كأس من الشمبانيا) بدأنا نغني معا «الاممية» : «انهضوا يا سجناء الجوع». ثم غنينا « نشيد السود الوطني » . كان صوتنا خافتا وواضحا : « ارفعوا كافة الاصوات وانشدوا حتى تردد الارض والسماء الصدى » وانضم الينا في الغناء عمال المطعم السود .

٢٥ شباط

فوجيء الشرطي الابيض، بلا شك بمنظري. كان صوته يرتجف بالكراهية وهو يطلب مني السير خلف ذلك الخط الابيض . عندما التقطت الصورة ، انطلق الصوت الآمر نفسه ليوجهني الى خط ابيض آخر ـ خاص بالنساء . لزمت انفاسي ، ريثما قاموا بتفتيش جسدي ، شعري وملابسي الداخلية.

كان كلا من كيندرا ، فيكتوريا ، فرانكلين قد اعتادوا ذلك الروتين في خلال ترددهم على محكمة سان فرانسيسكو . ومن المؤسف جدا أن يدرك

المرء ان الراغبين في حضور المحاكمات كـــان عليهم الخضوع لعمليـــات التفتيش المهينة يوميا .

كانت اسماؤنا قـد سجلت ، حددت اماكـن جلوسنـا ، التقطـت صورنا من قبل شرطة سان فرانسيسكو والـ FBI . وكان يفصـل المشاهدين عن منطقة المحاكمة حاجز زجاجي لا يخترقه الرصاص .

كان القاضي في مكانه المعتاد وكذلك الادعاء العام ، الدفاع واخيرا جون وفليتا .

كان من الصعب جدا علي تركيز افكاري حول ما كان يدور فـــي القاعة . كنت افكر في وجودهم خلف القضبان بينمـــا كنت خارجهـــا . واقسمت من جديد على النضال من اجل تحقيق حريتهم .

الجدران التى استدارت جانباً
تصبح جسوراً

الفصل السادس

جسور

٢٨ شباط

بدأت لعبة جديدة في قاعة المحكمة ، لعبة خطيرة . كان الناس في الطابق العلوي للقاعة يتابعون ما يدور في الطابق الاول بواسطة شاشات التلفزيون . وفي الطابق السفلي كانت الكاميرات والميكروفونات قد انتشرت لتنقل حركاتنا الى الغرفة المزدحمة حتى آخرها باشخاص غرباء وهم الذين يؤلفون أعضاء لجنة المحلفين .

قالت العضوة الاولى ، مارجوري موركان عندما خضعت لاسئلة ليو ، انها تعتقد في قيامي فعلا بممارسة القتل ، الاختطاف والتآمر . وان السماح لي بالتدريس في الجامعة كان أمرا خاطئا بسبب كوني شيوعية. واعلنت السيدة موركان عدم استطاعتها الحكم علي بموضوعية ولذلك استبعدت من اللجنة .

كانت المحكمة ، اعتيادية ، ترشح لهيئة المحلفين عدد من الاشخاص ليتم فيما بعد اختيار من يراه القاضي مناسبا لاصدار الحكم بدون تحيز ضد المتهم .

كانت السيدة جاني هيمفيل، السيدة السوداء الوحيدة بين المرشحين. اكدت السيدة هيمفيل مقدرتها على اصدار حكم عادل علي . شعرت بالعطف عليها عندما بدأت تتحدث عن حياتها . لقد مارست شتى الاعمال الشاقة . وعندما كانت السيدة هيمفيل تروي حياتها ، كنت اتذكر والدتي ونضالها في الحياة من اجل توفير المال اللازم لها من اجل الاستمرار في دراستها .

في ١٣/ايار ، بعد مضي ١٥ يوما على اختيار المحلفين ، ابعد الادعاء العام السيدة هيمفيل من اللجنة كما كان متوقعا .

اعلنا موافقتنا على الاشخاص الذين تم اختيارهم كمحلفين . لم تكن تلك الموافقة نابعة من اقتناعنا بهم او (بعدالتهم) بل لاننا لم نتوقع اختيار اعضاء افضل منهم .

كنا نأمل ان تكون توقعاتنا صحيحة بشأن السيدة ماري تيموثي والتي كان ابنها احد المعارضين للحرب الفيتنامية . ولدى توجيه الاسئلة اليها ، بدت كامراة ذات شخصية مستقلة .

عندما ادى اعضاء الهيئة القسم يوم ١٤/ايار كانت قد انضمت اليهم سيدة اخرى . عندما قام هوارد باستجوابها ، وجدنا ان اجاباتها كانت تشي بعدائها للشيوعية والسود بالرغم من محاولتها اخفاء الامر تحت طابع من البساطة والبراءة .

بعد أيام قليلة على ادائها للقسم ، تم اعفاءها من مسؤولياتها بناء على « اسباب شخصية » . وعلم عدد قليل من الاشخاص بحقيقة تلك الاسباب . ولو لم تكن سجلات المحكمة سرية ، لاستطاع الرأي العام التعرف على مدى عدالة النظام القضائي في الولايات المتحدة الامريكية .

بدأ الامر عندما اعلن القاضي آرناسون عن تلقي المحكمة نداء تلفونيا من فتاة قالت بانها ابنة المحلفة الجديدة . وكان كل ما قالته هو « ان بقيت والدتي في هيئة المحلفين ، كان الله في عون انجيلا ديفز » .

طلبنا استدعاء الفتاة . كانت الفتاة شاحبة الوجه واصغر بكثير من اعوامها الـ ١٨ . كانت خائفة ومترددة . وعندما تحدث اليها القاضي بلهجة ابوية قالت ان والدتها ستحكم بادانتي حتى وان توفرت الادلة على براءتي . وقالت ان والدتها تكره السود وتمنع اولادها من التحدث اليهم .

عندما واجهنا السيدة باتهامات ابنتها لها انكرت صحة كل كلمة

تفوهت بها الابنة . وعندما هددناها باستدعاء ابنتها الى القاعة في جلسة علنية امام المشاهدين والصحفيين ، اعلنت انسحابها من الهيئة .

٢٧ ايار

كانت المحكمة قد اعلنت عن استراحة فترة الغذاء . كنت وكيندرا آخر من غادر القاعة . عند ذلك رأينا ليو مسرعا الينا وهو يقول « لقد تم اطلاق سراح الاخوة سوليداد . » كانت صيحاتنا تردد جملة واحدة « الاخوة سوليداد قد اصبحوا احرارا » .

كنت اضحك واصرخ فرحا ولكني مع ذلك كنت افكر في جورج ايضا ! لو كانوا ابقوا عليه حيا فترة اطول !

وكان اطلاق سراح جون وفليتا بمثابة بركة تحيي انتصارنا المقبل .

كان ذلك اليوم موعد افتتاح المحكمة . لقد انصرم حتى الان خريفان ، وشتاءان وربيعان في الاستعداد لها . وها نحن اليوم في المرحلة النهائية .

تحدث المدعي العام عن اشتراكي في مؤامرة القتل ، الاختطاف والتآمر قائلا باني اندفعت الى ذلك بسبب حبي لجورج ، وقال انه ليس من حقي المحاكمة كمتهمة سياسية وان كل ما فعلته كان محاولة مني لاطلاق سراح من كنت احب .

جاء دورنا في اليوم التالي . عندما وصلنا الى قاعة المحكمة في ذلك اليوم لاحظنا تجمعا غير اعتيادي حول المبنى بينما انتشر رجال الشرطة المسلحين في كل مكان .

قال لي احدهم انه قد تم اكتشاف محاولة للهرب في المعتقل القريب من قاعة المحكمة .

بعد دخولنا للقاعة ، اعلن آرناسون تأجيل الجلسة بسبب حالة الطوارىء .

وفي اليوم التالي ، ظهرت الصحف وهي تحمل عناوين مثيرة مثل محاولة للهرب من المعتقل في مقر محاكمة انجيلا . كما قارنت صحف عديدة بمحاولة السجناء للهرب ومحاولة التمرد التي حدثت في ٧ آب .

مضت المحاكمة في سيرها . كنت قد امضيت كل دقيقة من الايام الاخيرة في تحضير دفاعي الذي سالقيه امام المحلفين .

بدأت الدفاع قائلة :

« يقول المدعي العام ان الادلة ستثبت ادانتي وانه لا خيار امامكم غير

تجريمي بالقتل ، الاختطاف والتآمر .

بدأ الادعاء العام حديثه قائلا بان هذه القضية لا يمكن اعتبارها غير جريمة حب . وقال ان حبي لجورج جاكسون كان عظيما لا يعرف الحدود ولا يحمل احتراما للروح الانسانية . ومضى قائلا انني لم اكن مهتما بالنضال من أجل تحرير السجناء السياسيين أو من اجل اصلاح حياة السجون في هذه البلاد . كان يريد ان يقول ان كل اهتمامي كان منحصرا في حرية رجل واحد ، حرية جورج جاكسون ، وان كل ما عدا ذلك كان بدافع الحب وحده .

« أيها المحلفون ، ان هذه الاقوال مجرد اوهام . ومن الواضح ان السيد هاريس يريد استغلال حقيقة كوني امراة . من المفروض على المراة في هذا المجتمع ان تتصرف وفق ما تمليه عليها عواطفها ورغباتها . واريد ان اقول ان هذه الفكرة هي احدى مظاهر الشوفينية الرجالية الظاهرة في مجتمعنا .

« سيريكم الدليل الذي قدمه الادعاء العام ان عملي في حركة تحرير الاخوة سوليداد كان قد سبق بزمن طويل بدء علاقتي الشخصية بجورج جاكسون وان كافة الجهود التي بذلتها لاطلاق سراح جورج كانت مكرسة ايضا لتحرير كافة الاخوة سوليداد .

ايها المحلفون ، كنا على حق في تفهمنا لقضية الاخوة سوليداد ، والدليل على ذلك براءة الاخوين الباقيين من التهمة التي نسبت اليهما » .

تحدثت فيما بعد عن تفاصيل نشاطات لجنة الدفاع عن الاخوة سوليداد وعن تجربتي في العمل من اجل تحرير السود ومن اجل حقوق الطبقة العاملة ، الشيكانو ، البورتريكيون ، الهنود ، الآسيويون والبيض. تحدثت عن تجربتي في حركة الطلاب السود ، المؤتمر الاسود ، لجنة الطلاب للسلام ، اتحاد المعلمين في كاليفورنيا ، حزب الفهود السود ، نادي شي ـ لومومبا والحركة المعادية للحرب .

وعندما بدأت في التحدث عن جوناثان ، تحدثت عنه كجزء من علاقتي بأسر الاخوة سوليداد .

« كان جوناثان جزءا فريدا من حركتنا ، لقد جلب معه ياس شاب لا يحمل ذكريات عن شقيقه الاكبر فيما عدا تلك الذكريات المرتبطة بالسجن ».

وتحدثت عن موضوع المسدسات والادلة المادية الاخرى التي كان المدعي العام يؤكد ادانتي بواسطتها . .

« انها واحدة من اللعب المريضة التي يمارسها الادعاء العام . لقد

اخترع خطة للتآمر ثم اخذ يضع المتهم ضمن اطار تلك المؤامرة » .

وبعد ان قمت بشرح النقاط القانونية التي نستند عليها في دفاعنا لمدة ساعتين ، شعرت بالثقة كي اقول لهم :

« لقد وصلنا الى خاتمة هذا الدفاع ، ونطلب منكم التفكير في نهاية هذه المحاكمة . عندما كنتم تستمعون في صبر الى فصول المحاكمة ، كانت قد تكونت لدينا ثقة عظيمة بعدالة حكمكم ولدينا ثقة عظيمة ان يكون قراركم مستندا على الادلة والعدالة . ونحن على ثقة م نان حكمكم سيتألف من كلمتين لا غير « غير مذنب » .

بالطبع لم نكن واثقين من اقتناع هيئة المحلفين بدفاعنا . ومع ذلك ابدى رالف ديلانج وماري تيموثي اهتماما به .

لدى الاستماع الى اقوال الشهود ، قدم هاريس لاعضاء المحلفين صورا بشعة مكبرة للحادث ، ولكن القاضي منع اضافة تلك الصور الى الادلة والتي كانت تمثل القاضي هيلين وقد اطيح بنصف رأسه .

لم يستطع الادعاء العام التأكيد وبشكل قاطع على وجود نية مستقلة على « اطلاق سراح الاخوة سوليداد » . كان الهدف من التمرد ، كما كتب الينا روشيل ، هو الاستيلاء على احدى محطات الاذاعة وشرح الظروف غير العادلة التي تحيط بمحاكمة الاخوة سوليداد .

كان التوتر يسود قاعة المحكمة . المحلفون ، الصحفيون والمشاهدون كانوا في انتظار وصول المدعي العام في قراءته الى الفقرة الهامة والحرجة من رسالتي الى جورج . لكنه واصل القراءة بصوته الرتيب :

« انني احاول ان اتفهم القوة التي قادتنا ، نحن النساء السوداوات ، الى حيث نحن عليه الآن . لماذا كانت تؤنبك والدتك بدلا من ان تقدم لك سيفا ملتهبا ! ان هذا السؤال يناسب كل امرأة سوداء . في العام الماضي، شهدت في كوبا عددا من النساء المقاتلات ، ما كان اجملهن . واننا نعلم ان حركة التحرير الجزائرية كانت ستلاقي الفشل منذ البداية لولا المشاركة الفعالة للمرأة الجزائرية . فان كانت المرأة قادرة على القتال وادارة المعامل فعلى الرجال ان يكونوا على دراية بأمور المنزل والاطفال .

ونعود الى سؤالنا : لقد تعلمنا من اجدادنا الثوار ان عمل فرد واحد لن يقضي على العدو . والعبد ان تمرد على سيده ، ان هرب فانه لن يفعل غير السير خطوة واحدة في طريق الحرية الطويل والمتعرج . ان الوقت لا يكون ملائما الا عندما يستيقظ كافة العبيد من سباتهم ، يحددون اهدافهم، يختارون قادتهم ثم يصممون على تخطي كل عقبة قد تمنعهم من تحقيق رؤياهم

لعالم جديد ونقلها الى تربة الارض ، في داخل لحم ودم الابطال .

« ان غرائز البقاء قد ادت الى سوء توجيه المرأة التي تقذف بالرجل لعاطل خارج المنزل لا لشيء الا من اجل استمرار حصولها على المعونة الاجتماعية كي تتمكن من اعالة اطفالها .

ان دوامة العمل القاتلة في نظام الدولة ، تغلق امام زوجي فرص العمل وتدفعني الى الابواب الخلفية لتنظيف الارض ومقابل ذلك يطلب مني النظام الخضوع للسيد الابيض وازدراء زوجي الاسود » .

« يجب ان نتوقع حدوث انفجارات نتيجة اليأس . وان كان طريق التحرر في حاجة الى استعمال التقنية الحديثة فاننا ، نحن النساء السوداوات ، نصوب طلقاتنا نحو الاتجاه الخاطىء . فبالنسبة للمرأة السوداء لا يكون الحل بجعلها اقل عدوانية او بوضعها للسلاح جانبا ، بل تعليمها على استعمال السلاح وعلينا ان نتعلم كيف نعلن عن ابتهاجنا عندما تسيل دماء الخنازير » .

توقف هاريس قليلا عن القراءة ، ثم واصلها بطريقته الرتيبة :

« التحرر عملية دياليكتيكية . الرجل الاسود لا يستطيع تحرير نفسه كرجل اسود ما لم تكن المرأة السوداء قادرة على تحرير نفسها من القذارة التي تحيط بها .

لقد اتفقت وجون على اعلان هدنة بيننا . كلما حاولت مقاومة رغبتي في القول بأنه لا يزال شابا صغيرا ، كلما حاول مقاومة مظاهر الشوفينية الرجالية لديه . انني لم اقل ابدا ان جون ما يزال صغيرا على كل شيء . وهو بالرغم من دراسته في المدرسة الكاثوليكية فانه لم يسمح للمجتمع بتصيد فترة مراهقته .

في تلك الليلة ، بعد ان تقابلنا في المحكمة ، علمت باننا كنا معا ، نحارب الخنازير وننتصر عليهم .

احبك . تحيات ثورية من شي ـ لومومبا ولجنة الدفاع عن الاخوة سوليداد .

انجيلا

عندما انهى هاريس قراءة رسالتي ، لم يجد رد الفعل الذي كان يتوقعه . اما انا فقد انتهزتها فرصة لمهاجمة النظام في البلاد . من اجل ادلة كتلك الرسالة ، سجنت في المعتقل مدة ١٦ شهرا . ومع ذلك فقد

حزنت لان عواطفي الشخصية قد اعلنت على الملأ بذلك الشكل ولان ذكريات جورج وجون قد تحركت في اعماقي من جديد .

كنت في تلك الايام ، لا اجد وقتا للراحة . كان الوقت يمضي في اجراء المناقشات مع المحامين ، الذهاب الى المحكمة او الاجتماع بهيئة المحكمة .

كان من بين الشهود الذين قمنا باستجوابهم السيد آلدين فليمنك.

كان السيد فليمنك قد ادعى بأنه قد شاهدني قبل يوم من حادثة التمرد برفقة جوناثان في محطة السيارات العائدة له. وقد استطاع التعرف علي بعد ان عرضت عليه صور عديدة لنساء سوداوات ذوات شعر منبسط.

وفي المحكمة ، لم يتعرف السيد فليمنك على صورتي فقط بل انه اشار ايضا الى عدد من الصور التي قدمت له والتي كانت تمثل فانيا ، بيني جاكسون (ذات شعر منبسط أيضا) وقال انها تمثل انجيلا ديفز .

مرت الايام ، وبدأت المحاكمة تشرف على نهايتها . انهى ليو مناقشات الشهود وقدم دفاعه عنه .

بعد ظهر احدى ايام الجمعة ، انسحب المحلفون الى غرفتهم الخاصة للتداول . تجمهر المشاهدون ، الصحفيون واعضاء لجان الدفاع في الحديقة الامامية للمحكمة . وكنت أتهيأ للذهاب مع عدد من الرفاق لتلبية دعوة الصحفي الالماني (هورست) والذي كان يتابع جلسات المحاكمة منذ بدايتها.

وقبل ان اغادر القاعة حدثني القاضي بواسطة التلفون ليطلب مني عدم مغادرة المكان حتى اشعار آخر .

وقبل ان نجد فرصة لتفسير ذلك الامر ، شاهدنا عددا من رجال الشرطة يدخلون القاعة ويتوزعون في سائر ارجائها .

بعد لحظات دخل هوارد القاعة برفقة ملازم الشرطة تام وقال بانفاس متقطعة « هناك محاولة اختطاف . انهم يعتقدون بانها من اجلك » .

فوجئت ولم ادرك معنى كلامه تماما .

استطاع ليو الحصول على معلومات اخرى : اربعة من السود ، نجحوا في اختطاف طائرة من سيتل ، اتصلوا من الطائرة لاملاء شروطهم وهي اتخاذ الاجراءات اللازمة لتسليمي اليهم لدى هبوطهم في سان فرانسيسكو اضافة الى مبلغ قدره ٥٠،٠٠٠ دولار وخمسة باراشوتات . وكان هناك شرط آخر وهو ضرورة ارتدائي ثوبا ابيض اللون .

ولحسن الحظ ، كنت في ذلك اليوم ارتدي ثوبا احمرا والا لاعتقد المسوولون بمعرفتي المسبقة للمحاولة .

في السابعة مساء ، وصلت الينا القصة الحقيقية لتلك المحاولة التي لم تكن تعنيني بشيء ما . بل ان رجال الـ FBI قد زجوا باسمي في تلك المحاولة على سبيل التأثير على قرار هيئة المحلفين .

ومع احساسنا بالحزن لما حدث ، كان سرورنا عظيما في نفس اليوم عندما تم اختيار السيدة ماري تيموثي رئيسة للمحلفين . لقد نظرنا اليها منذ البداية على انها اكثر المحلفين نزاهة وموضوعية .

عندما حان موعد العشاء ، ذهبت برفقة المحامين الى مطعم آنـــدي في محاولة منا للقضاء على تلك الساعات الحرجة المليئة بالتوتر والقلق . كانت حياتي في خطر وكنت في انتظار اصدار الحكم علي .

●●

٤ حزيران

كان الوقت صباح يوم أحد . كنا قد كرسنا ذلك اليوم لانتظار طويل. وفجأة دخل هوارد الشقة ليقول : « الوقت قد حان » لم افهم معنى تلـــك العبارة ، ولم يكن قد خطر ببالي مطلقا ان يتوصل المحلفون الـى قـرارهـم في ذلك اليوم .

كانت اللحظات الاخيرة اكثرها ايلاما . لقد انتظرنا قرار الهيئة يومين كاملين ، وانتظرنا انتهاء المحاكمة ثلاثة اشهر كاملة وانتظرنا ٢٢ شهرا منـذ بدء تمرد معتقل مارين ومع ذلك قيل لنا انه علينا الانتظار حتى يتم حضور الصحفيين قبل اعلان القرار .

في تلك الغرفة الخلفية التي انتظرنا فيها طويلا ، كان حديث المحامين يدور حول براءتي الثابتة .

حاول ليو تبديد توترنا بقوله انه في استطاعتنا معرفة القرار حـال دخول المحلفين الى القاعة وذلك بالتطلع الى التعبيرات المرتسمة علـــى وجوههم وخاصة ماري تيموثي . لم اكن احتمل الجلوس لحظـة واحدة ، كنت اذرع الغرفة جيئة وذهابا ، أجلس قليلا كي اقوم مرة اخرى . وكنت طوال الوقت ، أصر على اسناني واغرس اظافر يدي في راحتي .

عندما دخلنا قاعة المحكمة ، كان الناس قد احتشدوا في ممراتها ومع ذلك لم يكن عدد الصحفيين كاملا . قالت والدتي انها ستنتظر قرار اللجنـة في الخارج . حاولت تهدئتها ولكنني وجدت ثقتي قد بدأت في التزعزع .

بدأ شخص ما في الممر ، يغني اغنيـة ، التقط اللحن شخص اخـر وبدأ يردد هذه الكلمات: «نهضت في الصباح وقد عقدت العزم على التحرر ». ولم يمض وقت طويل حتى اشترك الجميع في الغناء ومن بينهم والدتـي وشقيقتي .

واخيرا ، اتخذنا اماكننا في القاعة . جلس كل من هوارد ، دوبي ، ليو خلف المنضدة بينما جلست في مواجهة الحاجز وعلى جانبي كل مـن ماركريت وكيندرا . نودي على دخول القاضي . وفي لحظات قليلة بـدأ المحلفون في الدخول الواحد بعد الآخر .

عندما تطلعت ماركريت الى وجه المحلف الاول صاحت وهي الاكثـر هدوءا فينا : « لا .. لا .. » ، حاولت بث الثقة فيها ، لكنها انخرطت فـي البكاء .

نظرت الى وجوه المحلفين علني اجد جوابا لحيرتي ، لكنها جميعـا كانت خالية من التعبير . بدأت حبات العرق تتساقط مني وشعرت بالقوة تتسلل من كافة انحاء جسدي . اما وجه السيدة ماري تيموثي فقد كـان جامدا كقطعة من المرمر .

في خلال المطالعات الاعتيادية للمحكمة ، كنت ابحث عن سبب اختفاء علامات التعبير عن اوجه المحلفين . وددت ان اهرع الى امي لانقاذها مـن ذلك المشهد المقبل . كنت غارقة في التفكير في تلك الامور الى درجة انني كنت بحاجة الى بذل جهد كبير من اجل التركيز على كاتب المحكمة وهو يتلو الاوراق التي قدمتها له السيدة تيموثي .

التهمة الاولى ، القتل . وسمعت صوتا عاليا واضحا يقول « غيـر مذنب » . كسر الصمت نشيج قوي . وكان فرانكلين .. لاحظت في تلـك اللحظة وكأن جميع من في القاعة قد اصبح شخصا واحـدا يتنفس بعمـق وقوة . وكانت التهمة الثانية ، الاختطاف وبعدها عبارة غير مذنب . بـدأ صوت فرانكلين يعلو اكثر من ذي قبل . وكان علي الاستماع الى القـرار الثالث حول تهمة التآمر .

عندما قرأ الكاتب « غير مذنب » للمرة الثالثة . صرخنا ، ضحكنا ، بكينا احتضنت ماركريت وكيندرا بحيث اننا لم نسمع دقات القاضي وهـو يريد اختتام المحاكمة بنفس الهدوء الذي ابتدأت به . قرأ مقطعا طويـلا من كتاب « الرجال الاثنا عشر » للكاتب جي. كي جيسترتون . هنأ الدفاع. الادعاء العام ، المحلفين واعلن انتهاء القضية المرقمة ٥٢٢١٣ ضد المواطنـة انجيلا ديفز / ولاية كاليفورنيا .

في غمرة سعادتها ، بدت والدتي جميلة جدا وذكرتني بصورة لها في شبابها الباكر .

كان الشيء الاخير الذي كنت راغبة فيه هو عقد مؤتمر صحفي . لم اكن قد سيطرت بعد على عواطفي وافكاري كي اعبر عنها امام الكاميرات . ولكنها مع ذلك كانت الطريقة الوحيدة للتحدث عبرها مع الناس وتقديم الشكر اليهم جميعا . عندما دخلت غرفة الصحافة ، كان اعضاء هيئة المحلفين قد انهوا لتوهم مؤتمرهم . وقفت بالقرب من الباب وكانت اول من غادرته من الهيئة ، محلفة كنا نعتبرها من اقرب المحلفين الى الادعاء العام. تعجبت كيف سيكون سلوكها معي . عندما اقتربت مني مددت نحوها يدا واحدة ، لكنها مدت كلتا يديها الي . احتضنتني قائلة ، « انني جد سعيدة من اجلك » . وفعل بقية المحلفين مثلها .

كان جمهور كبير قد تجمع امام مبنى المحكمة ، ولدى سماعهم بالقرار بدأت اتصالاتهم بالجماعات الاخرى . وفي تلك الدقائق ، تحدثت للمرة الاولى امام حشد كبير من المواطنين منذ (٢٢) شهرا . ابديت لهم امتناني لكافة المساعدات التي قدموها من اجلي وقلت ان الوقت قد حان لتوحيد جهودنا من اجل اطلاق سراح روشيل ، السجناء الست في سان كوينتين وكافة السجناء السياسيين في البلاد .

بعد مغادرة قاعة المحكمة ، توجهنا نحو منزل كلوديا وديفيد ، حيث كان والداي في انتظاري . في حديقة المنزل، جلسنا جميعا على الحشائش، تحت اشعة الشمس : انا وافراد العائلة ، المحامون ، الاصدقاء ، الرفاق ، اعضاء اللجان وغالبية اعضاء هيئة المحلفين .

بدأت اتحسس في تلك الدقيقة كل ما حولي لانني كنت ادرك كم هي قصيرة مثل تلك الاوقات . هناك العمل وهناك الكفاح . ان التحدي يقف أمامنا كحجر عثرة في الطريق وعلينا ان نسير ...

الخاتمة

في الحفل الذي اقيم احتفالا بالنصر في الامسية التي صدر فيها القرار ، لم تتوقف سعادتنا عند حد معين . ومع ذلك فقد كان هناك تحذير في صدى ضحكاتنا واهتياج في خطوات رقصتنا . ولو نظرنا الى لحظة

الانتظار تلك كنقطة النهاية وليست نقطة للانطلاق فاننا نكون بذلك قد تجاهلنا الاخوة الآخرين السجناء . وكنا نعلم انه من اجل انقاذ حياتهم ، كان علينا مواصلة الاعتماد على الحركة .

كانت تلك النقطة موضوع اهتمام اعضاء اللجنة الوطنية المتحدة للدفاع عن انجيلا ديفز في اجتماعاتهم بناء على دعوة شارلين (في اليوم التالي لصدور القرار) . وخوفا من اعتقاد بعض اللجان المحلية ان اعمالهم قد انتهت ، وزعنا عليهم بيانا حول اهمية الاستمرار في العمل . ومن جل التأكيد على الموضوع ، تقرر قيامي بجولة في البلاد للتحدث عن أهمية مواصلة الكفاح من اجل اطلاق سراح روشيل ، فليتا ، الاخوة اتيكا وكل انسان سجين . لم يمض على حريتي اسبوع واحد حتى سافرت الى لوس انجلس ومن هناك الى شيكاغو ثم ديترويت ونيويورك .

لقد القيت على كتفي مسؤولية سياسية كبرى ، وبدأت أشعر بخوف كبير لم أحس به من قبل . كانت قابليتنا على ابقاء الحركة حية فرصتنا الوحيدة لانقاذ بقية الاخوة والاخوات من السجن .

سافرت الى دالاس واتلانتا ، وبعد ان امضيت بضعة اسابيع مع افراد اسرتي في بيرمنجهام ، بدأت في الاستعداد لجولة تستغرق شهرا في الخارج . فالحملة العالمية لم تكن وسيلة للضغط على الحكومة فقط بل ان تأثيرها كان كبيرا في اغناء حركة الجماهير في الداخل . وقد تحملت البلدان الاشتراكية الجزء الاكبر من تلك الحملة العالمية ، ولهذا السبب وقع اختيارنا على زيارة جمهوريات الاتحاد السوفييتي ، المانيا الديمقراطية ، بلغاريا ، تشيكوسلوفاكيا ، كوبا واخيرا تشيلي .

كانت جولتنا تستهدف تقديم امتناننا لكل من ساهم في الدفاع عن حريتي وايضا اثارة اهتمامهم بقضية السجناء السياسيين .

وفي تلك البلدان ، حضر اجتماعاتنا اعداد كبيرة من الناس لم اكن قد شاهدت مثلهم في اي تجمع آخر . ففي المانيا الديمقراطية كان عددهم مئات الالوف . في كوبا حوالي ثلاثة أرباع المليون . في هافانا ، تطرقت في كلمتي الى قضية بيلي دين سميث ، المواطن الاسود المناهض للحرب والمتهم بقتل جنديين اميركيين في فيتنام . وعندما القى رئيس الوزارة ، فيديل كاسترو ، كلمته ، اقسم بالنيابة عن الكوبيين على رفع الاصوات مطالبة بتحرير بيلي دين سميث . وفي اليوم التالي ، كضربة عصا سحرية ، كانت جدران هافانا مغطاة بملصقات تطالب بحرية سمث .

وهنا ، في الوطن ، كان العمل قد بدأ من اجل تقوية الجبهة للدفاع

عن سمث وكافة السجناء السياسيين . وبدأت جولة اخرى في الجامعات لجمع التبرعات .

واليوم ، بعد عام ونصف ، نجحنا في تأسيس التحالف الوطني ضد العنصرية والاضطهاد السياسي ولنا فروع في احدى وعشرين ولاية . وعضوية التحالف مفتوحة امام السود، الشيكانو، البورتريكيين، الاسيويين، الهنود والبيض . نحن فخورون بنجاحنا في توطيد دعائم الشيوعيين ، الاشتراكيين ، الراديكاليين الديمقراطيين والوطنيين . لقد ادرك كل واحد منا ان الوحدة هي السلاح القوي ضد العنصرية وضد الاضطهاد السياسي. وفيما اكتب هذه الخاتمة ، نتهيأ لاقامة تظاهرة كبيرة في يوم ٤ تموز في شمال كارولينا .

ان علينا التأكيد من ان القائد الاسود ، الاب بين جافيس ، لم يصدر الحكم عليه بالسجن مدة ٢٦٢ عاما بسبب الاتهامات التي وجهت اليه . ان علينا تحرير دونالد سميث والذي حكم عليه بالسجن اربعون عاما وهو ما يزال في السادسة عشر من عمره بسبب اشتراكه في الحركة عندما كان طالبا في المرحلة الثانوية . وعلينا انقاذ شقيقتنا البريئة ، ماري هيل ، عندما حكم عليها بالموت وهي ما تزال في السادسة عشر ثم تغير الحكم الى السجن مدى الحياة .

عبر هذه البلاد ، هناك المئات والالوف مثل الاب جافيس ، دونالد سمث ماري هيل . نحن ــ انت وانا ــ املهم الوحيد في الحياة والتحرر .

٢١ حزيران ١٩٧٤